تحرير
د. مصطفى النشار
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بكلية الآداب
جامعة القاهرة

أعلام التراث الفلسفي المصري
[٣]

د. زكي نجيب محمود

والحوار الأخير

الطبعة الأولى

الناشر
دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

اسم الكتـــاب: سلسلة أعلام التراث الفلسفى المصرى
٣ – د. زكى نجيب محمود والحوار الأخير
إعـداد وتحـرير : د. مصطفى النشار
سنة النشـــر : ٢٠٠٦م
رقـم الإيــداع : ١٨٢٧٩ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولى : 7 - 507 - 303 - 977
الناشـــر
دار قباء
للطباعة والنشر والتوزيع

(١٦) عمارات العبور شارع صلاح سالم – الدور الثالث –
مدينة نصر
تليفاكس : ٠٢/٢٦٢١٣٦٥
محمـــول : ٠١٢/٣١٤٠٣١٥

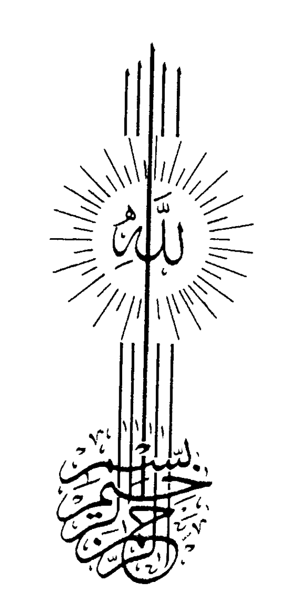
د. زكى نجيب محمود

والحوار الأخير

تحرير

د. مصطفى النشار





الإهداء

إلى :

روح الفيلسوف وعبقرية المكان....

إلى :

روح زكى نجيب محمود التى حلقت فى سماء الفكر العربى والمصرى فى القرن الماضى ولا تزال...

وإلى :

عبقرية «دار الأوبرا» التى جعلت الفيلسوف يلقى بآخر أوراقه الفكرية - الفلسفية بصراحة ووضوح أكثر مما وجدناه فى كتاباته....



تقديم السلسلة

يزخر تراث مصر الفلسفى بصفحات هامة قدمها أعلامه عبر التاريخ الحضارى الطويل لمصرنا الغالية. ولما كان تراثنا ملكنا وليس ملكا لأحد غيرنا، ولما كنا بالضرورة أقدر على ابرازه ونفض الغبار عنه وتقديمه للأجيال الجديدة فى مصر والعالم، فلا ينبغى أن نتوانى لحظة عن القيام بهذه المهمة القومية.

وأعتبر هذه بالفعل مهمة قومية نظرا لما درجنا عليه من إهمال واضح لهذا التراث بأشكاله المختلفة وخاصة فى مجال الدراسات الفلسفية. والحقيقة أن هذا الإهمال قد تسبب بشكل أو بآخر فى شيوع عدم الانتماء بين الأجيال الجديدة، وقد تسبب من جانب آخر فى هذه الهجمات المتتالية من قبل أعداء مصر فى كل مكان على تاريخها وأعلامها فأصبح مجالاً للنهب وللقيل والقال وأصبح كل من هدب ودب يدعى أنه صانع المنجز الحضارى المصرى. وليس ببعيد ما يدعيه اليهود هذه الأيام من أنهم صانعو الحضارة المصرية القديمة وبناة الأهرام وطاردوا الهكسوس ... إلخ!!

ولا يخفى علينا أن الدور الرائد والأهم فى الاهتمام بتراثنا الفكرى خاصة والحضارى عامة كان ولا يزال للعلماء والباحثين الغربيين. وليس

بخافٍ على أحد أن هذه الاهتمام رغم كل ما فيه من جدية وجهد علمى رصين ورائد ليس خال من الأغراض السياسية أو الأيدلوچية أو الدعائية. وفى اعتقادى أن جهدنا فى هذا المجال ينبغى أن يتجاوز ردود الأفعال إلى الأفعال، ينبغى أن يتجاوز محاولات الرد على المقولات الزائفة التى يشيعها ويروج لها الآخرون عن تراثنا وحضارتنا، إلى محاولة تقديم هذا التراث فى مختلف المجالات بروح مصرية وبجهد مصرى وبالطبع فليس أقدر على إبراز وتقديم درر ما فى تراث حضارى ما أكثر من أصحابه أنفسهم.

ولما كنت عاشقًا لمصر ولتراثها الحضارى عبر العصور، ولما كان تخصصى هو الفلسفة عامة والفلسفة القديمة على وجه الخصوص، فقد آليت على نفسى أن أقوم بجهد ما فى هذا المجال. وهو وأن قل يشكل لبنة من لبنات تدعيم الانتماء إلى هذا التراث الحضارى العظيم لمصرنا الحبيبة. وهو وان تواضع يساهم فى إلقاء الضوء على مجال لازال بكراً فى اهتماماتنا القومية؛ حيث أن الاهتمام بتاريخ مصر؛ وبآثارها وبإنجازاتها فى مجالات السياسة والاقتصاد والعلوم قد بدأ منذ مطلع عصر نهضتنا الحديثة فى القرن التاسع عشر، بينما لا نزال نخطوا خطواتنا الأولى فى ميدان الاهتمام بتاريخ الفلسفة فى مصر رغم أن اسهامات المصريين فى تاريخ الفكر الفلسفى لا تقل بأى حال عن إسهامات العديد من شعوب العالم سواء فى الغرب أو فى الشرق.

والحقيقة أن المرء تتملكه الدهشة حينما يجد اهتمام الهنود واليابانيون والصينيون وغيرهم من شعوب العالم بإبراز دورهم الفلسفى عبر العصور، بينما نحن لا نزال نتصور خطأ أن إسهامنا وإسهام أجدادنا فى هذا الميدان يتضاءل لحد العدم!!

وقد آن آوان رفض هذا الشعور بالدونية والضآلة لأن الحقيقة أن تراثنا زاخر بالإنجازات الفلسفية فى مختلف العصور، لكننا أهملناه وأهملنا التركيز عليه وعلى دراسته مفضلين عليه الاهتمام بدراسة الفلسفات الغربية. ولا أدل على هذا الإهمال من النظر فى مناهج أقسام الفلسفة بالجامعات المصرية حيث لا تجد من بينها أى دراسة متخصصة لتراث مصر الفلسفى اللهم إلا عبر مواد الفلسفة الإسلامية، أو الفكر الشرقى القديم أو الفكر العربى المعاصر، والأمر فى هذه الحالة بالطبع متوقف على اهتمامات الأستاذ الذى يدرس هذه المادة أو تلك!! فربما - وهذا هو الأغلب بالفعل - لا يشير من قريب أو من بعيد لهذا التراث الفلسفى المصرى !!

وبالطبع فقد يقول القائل هنا : أين هذا التراث الفلسفى المصرى الذى ننادى بالاهتمام به ؟! ولهذا القائل أقول : أن تراث مصر الفلسفى يبدأ من «النص المنفى» فى التراث الفلسفى لمصر القديمة. ذلك النص الذى يرسم فيه مفكرو مصر لأول مرة تصورهم للإله الخالق المبدع

للوجود، وتصورهم أنه وهو يبدع الوجود أبدع معه الخير والشر ونصح بنى البشر بأن يسلكوا طريق الخير ويبتعدوا عن طريق الشر. فى هذا النص البديع يبزغ فجر الاهتمام بتفسير الوجود، ويبزغ فى نفس الوقت فجر الضمير على حد تعبير برستيد عالم المصريات الشهير. ومنذ هذا التاريخ تتواصل الأجيال فى مصر عبر العصور فى تقديم إبداعاتها الفكرية فمن بتاح حبت وايبوور وأمنموبى واخناتون فى مصر القديمة، إلى فيلون وكلمنت وأوريجين وأفلوطين فى مصر فى عصر الإسكندرية، إلى علماء وفلاسفة مصر فى العصرين المسيحى والإسلامى إلى العصر الحديث. كل جيل يقدم ما استطاعه فى ضوء العصر الذى عاشه وفى ضوء الظروف التى واكبت هذا العصر . واستطيع إن أجزم بأنه لم يكن إنجاز المفكر المصرى فى أى عصر بأقل من انجازات غيره من مفكرى العالم فى ذات العصر.

كل ما هنالك أن علينا نحن واجب العودة إلى هذا التراث الضخم وإعادة قراءته وتحليله والكشف عن كوامنه وإبرازها للأجيال الحالية والقادمة لعلهم يفخرون بها ويواصلون نفس طريق الإبداع الذى ما انقطع يومًا، ولكنه ان خبا زمنًا فالنار دائمًا تحت الرماد. والإبداع دائمًا موجود وان غفلت عنه العيون وغطت عليه توافه الأعمال ومصالح الساسة والغزاة !!

يا أبناء مصر وبُناتها فى القرن الواحد والعشرين ومع مطلع الألفية السابعة من تاريخكم الممتد العظيم: هو تراثكم الفكرى فاهتموا به وبدراسته، هو زادكم الحقيقى فتزودوا به لمجابهة تحديات الحاضر والمستقبل، فمن لم يستفد من تراثه وهو بهذا الثراء والغنى فقد ضل الطريق، ومن لم يعرف ماضيه حق المعرفة فلا حاضر له ولا مستقبل !

يا أبناء مصر وبُناتها فى هذا الزمن والزمن القادم، لقد كانت مصر دائمًا وعبر التاريخ رائدة فى كل مجالات الحياة إلا فى الفترات التى عانت فيها من الغزاة والمستعمرين، فكونوا أنتم أيضًا روادا للإبداع والتجديد فى عصركم وفى زمنكم. وهذا التجديد وذلك الإبداع لا يكون إلا بربط حاضركم بماضيكم وبالتطلع الجاد إلى المستقبل. والقفز إلى الأمام يحتاج دائمًا إلى العودة إلى الوراء. وهذه السلسلة التى نقدمها لكم فى دراسة أعلام التراث الفلسفى المصرى تشكل الجانب الأهم من الوعى بريادة الماضى، لتكون زادًا نتزود به فى التفاعل مع متطلبات الحاضر ودافعًا للإبداع والريادة فى المستقبل.

د.مصطفى النشار

القاهرة / ١٠ فبراير ٢٠٠١م

الموافق: ١٦ من ذى القعدة ١٤٢١هـ

تصدير

فى ليلة بديعة من ليالى الأوبرا المصرية ، استضاف الصالون الثقافى للأوبرا ذلك الصالون الذى أضاف بُعداً جديداً لدور دار الأوبرا الحضارى - الثقافى فى مصرنا المعاصرة، استضاف أستاذنا الكبير ورائداً من رواد فكرنا العربى المعاصر أ.د. زكى نجيب محمود . وحضر اللقاء لفيف من رجال العلم والفكر فى مصر والعالم العربى كما حضره أصدقاء وزملاء وتلاميذ الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . وقد بدأ اللقاء بأن قدم الدكتور زكى نجيب صورة شاملة عن حياته وتطوره الفكرى من العشرينيات حتى التسعينيات من هذا القرن .

سبعون عاماً تطور فيها وتشكل عبرها عقلٌ واع وتبلور فيها فكر رائد لأستاذ عظيم حاول أن ينير أمام أبناء أمته طريقاً للتقدم والرقى أساسه حرية الفكر وعلمية التفكير .

سبعون عاماً قضاها مفكرنا العظيم متعبداً فى محراب الفكر مخلصاً لآرائه ومعمقاً لمذهبه الفكرى دون أن ينشغل بأى شىء آخر . ولعل هذا الإخلاص لدوره الفكرى الرائد هو ما أكسبه هذه المكانة الرفيعة فى عقول أبناء أمته قبل قلوبهم وقبل تقديرهم العاطفى له . إن الدور التنويرى الذى قام به زكى نجيب محمود على مدار هذه السنوات

الطوال من خلال كتاباته وحواراته ومقالاته ومحاضراته يعجز عن القيام به فريق عمل متكامل ، ليس فقط لضخامته وكثرته الكمية ، بل لما تميز به هذا الدور من حيوية فى الأداء ودقة فى العمل وإدراك واع لمتطلبات اللحظة الفكرية الراهنة فى تاريخ الأمة .

وإذا كان فيلسوفنا الراحل قد أصابه اليأس فى بعض لحظات حياته لدرجة أن كتب أكثر من مرة معبراً عن أنه لم يحصل على المردود المطلوب أو المتوقع على ما ظل يكتبه طيلة عشرات السنين وأن رسالته الفكرية لم تصل بعد!! ، إلا أنه لم يتوقف لحظة عن مواصلة هذه الرسالة التنويرية بكافة الوسائل والسبل المتاحة .

وليس أدل على هذا الإصرار على العمل الدءوب فى درب التنوير والهاب الوعى القومى إزاء القضايا الفكرية الملحة ، من هذا الحوار الساخن الذى أداره د. زكى نجيب مع من حضروا هذه الأمسية الثقافية رفيعة المستوى؛ إذ كانت إجاباته متحفزة تحمل من التحدى والإصرار ما يعجز عن مجاراته فيها الشباب اليافع . لقد تحدى بهذه الإجابات حماس الشباب والشيوخ على حد سواء ، مطالبًا إياهم أن يقوموا بدورهم بوعى فى نهضة أمتهم . وحثهم على توحيد جهودهم فى الإتجاه الصحيح للنهضة القومية . تلك النهضة التى لا يمكن أن تكون إلا على دعامتين اثنتين ؛ الدعامة الأولى هى «التراث» بعد تنقيته من أى خرافات

أو خزعبلات أو أى مما يعوق حركة الأمة نحو دخول العصر. وهذه التنقية ليست ضد الدين ، بل على العكس إنها هى الوجه الصحيح للدين الإسلامى إذا ما أخذناه كعقيدة تقوم على التوحيد.

والدعامة الثانية هى «العلم» بكل ما يحمله الإصطلاح من دلالات هى المدخل الطبيعى للعصر الذى نعيش فيه . فلا يمكن أن يعيش العصر من تخلف عن ركب التقدم العلمى الموجود . ويستحيل على أى أمة أن تتخلف عن عصر تعيشه وخاصة إذا كانت هذه الأمة هى أمة العرب والمسلمين لأنهم أصحاب ماضى عريق وعظيم حمل لواء العلم وقت أن كان الآخرون نياماً جامدين .

إن وصل الحاضر بالماضى ممكن بشرط إعمال العقل والتفكير العلمى فى مختلف قضايا الحياة المعاصرة . والتراث العربى - الإسلامى به كل عوامل القوة الكائنة فى عصرنا الحاضر إن نجحنا فى إبراز المعقول دون اللامعقول، والتركيز على وحدة العقيدة دون الاستغراق فى شتات الجزئيات والإختلافات. والعصر العلمى الذى نعيشه ليس حكراً على الغربيين وحدهم . فنحن جزء منه وقد شاركنا فى صنعه من قبل وليس أمامنا الآن إلا أن نكون مشاركين فيه!!

لقد تميز حديث د. زكى نجيب محمود فى هذا اللقاء بالصرامة الشديدة والوضوح الشديد فيما يتعلق بضرورة إزالة أى معوقات تعوق

دخولنا ركب التقدم العلمى المعاصر وطالب بأن يتغير النظام التعليمى ككل من نظام يقوم على الحفظ والتلقين والتكرار الممل إلى نظام يخاطب العقل ويدرب على المنهج العلمى فى التفكير . فليس المهم حشو الأدمغة بالمعلومات فالمعلومات يمكن تحصيلها من أى مصدر ، لكن المهم هو تعويد الطالب سواء كان طالبًا فى التعليم قبل الجامعى أو فى التعليم الجامعى، تعويده على أن يفكر بطريقة منهجية علمية ولا يمكن تعويده على ذلك بطريقتنا العقيمة فى التدريس، تلك الطريقة التى تقوم على التلخيص وتركيز المعلومات فى نقط محددة ، وإنما تقوم على تعويده على منهجية اكتشاف جوهر المعلومات المطلوبة بنفسه، تعويده على أن يكتشف هو منهجية التفكير وكيفية حل المشكلات من خلال قدراته المستقلة فى التفكير وفى البحث العلمى .

كما طالب أيضًا بتغيير المحيط الثقافى من محيط تقليدى يكرس إما العيش فى الماضى، أو التقليد الأعمى لأسوأ ما فى العصر!! إلى محيط ثقافى يقبل الإجتهاد والإضافة ويرفض التكرار والجمود، إلى محيط إيجابى يفعل ويؤثر ولا يكتفى بالتلقى والتأثر بما يلقيه إلينا الآخرون !!

لقد كشف د. زكى نجيب محمود فى هذا اللقاء أيضًا سواء حينما تحدث عن نفسه أو من خلال ردوده على محاوريه ، كشف عن جوهر فلسفته العلمية ، وأكد أنه لم يتغير طوال رحلته الفكرية تغيراً جوهرياً؛

بمعنى أنه لم يحدث لديه أى إنقطاع أو تحول عن المسار الذى رسمه لنفسه منذ بداياته الفكرية؛ فهو من البداية إلى النهاية يدعو إلى التفكير العلمى والأخذ بما فى العصر من آليات منهجية كفيلة بتغيير الواقع إلى الأحسن والأفضل، كفيلة بنقلنا من عصورنا الوسطى التى تمثلت فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وكذا التاسع عشر الميلادى، إلى القرن العشرين الذى نعيشه لكن ليس بعقولنا وإنما بأجسادنا . إننا نعيشه «عالة» على الغرب بينما المفروض أن نعيشه ونحن نشارك بفعالية وإيجابية بكل ما فيه من منجزات!!

كل ما حدث أنه فى البداية ركز على اكتشاف وعرض ما يراه مطلوبًا من العصر ليضاف إلينا ويساعد على انتشالنا مما نحن فيه من تخلف وتبعية، وتمثل ذلك فى كتاباته الأولى فى فلسفة العلم والمنطق ونحو فلسفة علمية وعن الفلاسفة الإنجليز من التحليليين والوضعيين والتجريبيين العلميين ، وتمثل كذلك فى كتاباته النقدية كخرافة الميتافيزيقا وشروق من الغرب ... إلخ .. ولما عرض لذلك واكتشف المنهجية التى يراها هى الطريق الأقوم إلى النهضة المنشودة بدأ فى مرحلة تالية ينظر من خلال هذه المنهجية فى تراثه العربى والإسلامى وأخذ فى تحليله والغوص فى أعماقه ليخرج منه اللآلئ المنهجية التى تحث على نفس الرؤية الغربية المعاصرة فى الفهم العلمى - العقلانى لكل شىء ، وليستبعد ما يتناقض مع ذلك أو يشكل عائقًا يعوق تلك المنهجية

العلمية!! كما أخذ فى نفس الوقت فى كتابة مقالاته التحليلية التى طبق فيها باستمرار منهجيته تلك فى التفكير . فليس هناك انقطاع ولا إنفصال . وإنما فكر د. زكى نجيب فكر متصل الحلقات ؛ إنه اكتشف من خلال قراءاته للفكر الغربى منهجيته الفكرية - العلمية - التقدمية وحاول تطبيقها فى تحليله للفكر العربى سواء كان هو «التراث» أو كان هو المطروح على الساحة الفكرية والسياسية فى عصره !!

وقد تميزت إجابات د. زكى على أسئلة محاوريه فى هذا الصدد بأنها كانت مباشرة وبلغة غير فلسفية (غير اصطلاحية) . ولذلك ففى الحوار اضافات عديدة وأمثلة جديدة أقرب إلى الأفهام وأوضح فى التعبير عن ما أراده فى كتاباته التخصصية . فلقد شرح هنا فى هذا الحوار كيف يرى فى الدين الإسلامى دعوة إلى الوحدة والتقدم ؟! وكيف السبيل إلى أن يفهم المؤمن بالإسلام جوهر الدين العظيم؟! كما شرح كيفية الوصول إلى تلك المنظومة الفكرية التى يتوحد فى اطارها الإعتقاد الدينى بالإله الواحد الأحد، والأعمال الفنية الكاشفة عن جوهر الشعب وخصائص تفرده، والأعمال الأدبية والفكرية الداعية إلى حرية الإبداع وحرية الإنسان ... إلخ.

خلاصة القول أيها القارئ العزيز أنك ستجد فى قراءة ما دار فى هذا اللقاء لمفكرنا الكبير د. زكى نجيب محمود الجديد والجديد.. فليس ما

قيل مجرد تكرار لما ردده أستاذنا فى كتاباته، وإنما دفعه الحوار المباشر مع هؤلاء المحاورين الأشداء الأكفاء كالدكتور حسن حنفى والدكتور مراد وهبة والدكتورة أميرة مطر والدكتور أبو الوفا التفتازانى والدكتور محمد حسن الزيات وغيرهم وغيرهم، دفعه ذلك إلى أن يزداد حماسة ويزداد تألقًا ليكشف عن جوانب جديدة لم يكن قد كشف عنها من قبل ، وليكشف عن آرائه المباشرة فى كل ما يجرى على الساحة الفكرية من ظواهر وقضايا .

فلقد امتلأت القاعة بأعلام مصر ومفكريها وأدبائها من مختلف الإتجاهات الفكرية ومن مختلف الفئات. وكان على مفكرنا أن يتفاعل مع هذا الجمع وأن يكون صريحًا معهم إلى أبعد حد ، وأن يبتعد فى حواره معهم عن دبلوماسيته المعهودة فى الكتابة وما تفرضه الكتابة من ضرورات ومحاذير فكرية ولغوية... رلخ .

ولقد حاولت فى تحرير هذا اللقاء ألا أتدخل إلا بقدر تحويل اللغة فى بعض الأحيان من «العامية» إلى الفصحى السلسة البسيطة حتى أحافظ على تدفق الأفكار بنفس الطريقة التى تدفقت بها فى اللقاء . وفى بعض الأحيان جعلنى ذلك أترك بعض الكلمات العامية التى لا تجرح شعور القارئ أو تصدمه .

لقد حاولت - رغم عدم حضورى هذا الحوار الهام لوجودى خارج مصر فى تلك الأثناء - حاولت أن أعيش أجواء اللقاء من خلال سماع أشرطة التسجيل الخاصة باللقاء، ومن خلال مشاهدة شريط تسجيل «الڤيديو» للقاء.

لقد عايشته وأرجو أن يعايشه القارئ من خلال ما حاولته من حفاظ على اللغة السلسة للحوار والحفاظ على تدفقه الآخاذ ..

وقد حاولت أيضاً أن أزيل أمام القارئ أى صعوبات قد تواجهه حين القراءة خاصة إذا كان من غير المتخصصين فى الفلسفة، بما أضفته من هوامش حول بعض المصطلحات والأفكار التى وردت فى حديث الدكتور زكى نجيب محمود .

وبعد فالشكر كل الشكر لدار الأوبرا المصرية التى فكر المسئولون فيها فى إقامة هذا الصالون الثقافى الهام والرائد والذى افتتحوه بهذا اللقاء الفكرى البديع مع مفكرنا الدكتور زكى نجيب محمود ليحصلوا منه على ما أعتبره شهادة غير تقليدية على العصر ووثيقة فريدة يمكن من خلالها بلورة الخطط لنهضة فكرية وعلمية شاملة لدخول عالم القرن الحادى والعشرين .

لقد قدم مفكرنا شهادته الأخيرة قبيل رحيله عن عالمنا الفانى فى هذا اللقاء الفكرى، ربما ليكتب من خلالها لفكره ومنهجه الفكرى الخلود .

وما أحوجنا ونحن ننادى صباح - مساء «بروشتة» دخول عالم القرن القادم، ما أحوجنا بأن نضع هذه «الروشتة» التى قدمها واحد من أعظم مفكرينا فى القرن العشرين وأخلصهم ، ما أحوجنا أن نضعها نصب أعيننا لنستفيد منها ولنجعلها موضع التنفيذ، ففيها تشخيص للداء وفيها طريق الصحة والشفاء .

مرة أخرى أقول الشكر كل الشكر لدار الأوبرا المصرية على هذا «الصالون الثقافى» البديع. وللأستاذ محمد سالم الذى كان له الفضل فى أن أطلع على هذا اللقاء الفكرى لأستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود ، وفى أن أقوم بتحريره وتقديمه لجمهور القراء حتى تعم الفائدة وتنتشر الأفكار التنويرية لتحلق فى آفاق مصرنا الحبيبة معلنة أن مصر تعرف طريقها نحو التقدم والنهضة . وهى قادرة على صنعهما بسواعد وعقول أبنائها بإذن الله .

ولقد أثرت أن أقدم هذا الكتاب فى سلسلة «أعلام التراث الفلسفى المصرى» لأن د. زكى نجيب محمود يعد الآن ومنذ رحيله عنا فى صيف ١٩٩٣ واحداً من أهم أعلام هذا التراث. وإن كان يتميز بأنه ليس فقط من أعلام تراثنا الفلسفى ، بل هو أيضاً من أعلامنا فكرنا العربى المعاصر والذى لا تزال أفكاره تمثل الزاد الحقيقى لأمة يريد أبناءها أن يلحقوا بركب الحضارة المعاصرة ، آملين فى أن يحققوا الطفرة فى القرن الواحد والعشرين .

ويعد هذا الكتاب ككل نصًا فريداً لزكى نجيب محمود؛ فهو فيه يروى حياته وتطوره الفكرى بنفسه كما أنه فى حواره مع مفكرى مصر يقدم خلاصة فكره بصيغة السؤال والجواب وبشكل مبسط يحفز كل من يقرأه للمشاركة والإبداع .

والله أسأل أن يكون هذا الكتاب مفيداً لكل دارسى فكره ومحبيه ، مفيداً لكل مصرى وعربى يريد أن يكون فعالاً فى عصر لا مكان فيه لخامل أو كسلان!! .

زكى نجيب محمود فى سطور

* ولد فى عام ١٩٠٥ بقرية ميت الخولى عبد الله بمحافظة دمياط .

* تخرج فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣٠م .

* بدأ نشاطه الفكرى الواسع منذ هذا التاريخ حيث بدأ فى كتابة سلسلة من المقالات فى مجلة «الرسالة»، ثم سافر إلى إنجلترا فى بعثة صيفية لمدة ستة شهور عام ١٩٣٦م. وعاد بعد ذلك إلى القاهرة ثم سافر مرة أخرى إلى إنجلترا لينهى دراسته العليا فحصل أولاً على بكالوريوس الفلسفة من الدرجة الأولى من جامعة لندن عام ١٩٤٥م . ثم حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة عام ١٩٤٧ .

* عاد إلى مصر فى نفس العام وبدأت صلته بكلية الآداب - جامعة القاهرة حيث التحق بهيئة التدريس بها . وظل أحد أعضاء هيئة التدريس بالكلية حيث تدرج فى الدرجات العلمية حتى أصبح أحد أعلامها المرموقين دون أن يشغل أى وظيفة إدارية .

* سافر إلى الخارج فى زيارات عمل للعديد من الجامعات الأجنبية والعربية خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والكويت . وقد اختير مستشاراً ثقافياً لمصر بالولايات المتحدة عام ١٩٥٤م لمدة عام واحد .

* نال العديد من الجوائز كان أبرزها فوزه بجائزة الدولة التشجيعية فى الفلسفة عام ١٩٦٠م ، وجائزة الدولة التقديرية فى الأدب عام ١٩٧٥م ، وجائزة الجامعة العربية للثقافة العربية من تونس عام ١٩٨٤م . كما حصل على جائزة سلطان العويس الثقافية من دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩١م .

* وقد منحته الجامعة الأمريكية بالقاهرة درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٨٥م.

* أما أبرز نشاطاته العامة بالاضافة إلى عضويته للعديد من الهيئات والمؤسسات العلمية ، ورئاسته لتحرير العديد من المجلات الثقافية ، فهى مقالاته الأسبوعية التى اشتهر بها فى جريدة الأهرام والتى واصل دوره التنويرى الرائد من خلالها منذ عام ١٩٧٣ حتى وفاته .

* كتب د. زكى نجيب محمود حوالى أربعين مؤلفًا وترجم عشرة مؤلفات هامة أما مقالاته فلا حصر لها ؛ فقد داوم على كتابة مقالاته فى مجلات عديدة مثل «الثقافة» التى داوم على الكتابة فيها منذ إنشائها عام ١٩٣٣م وأشرف على تحريرها عدة سنوات فيما بين عامى ٤٩-١٩٥٢م . ومجلة «الرسالة» التى كتب فيها منذ إنشائها عام ١٩٣٧م، وكذلك مجلة «الفكر المعاصر» التى أشرف على إنشائها عام ١٩٦٥م ورأس تحريرها حوالى أربع سنوات.

* أما أشهر مؤلفاته فهى «شروق من الغرب» عام ١٩٥١م، و«المنطق الوضعى» عام ١٩٥١ ، و«خرافة الميتافيزيقا» عام ١٩٥٣م ، و«نحو فلسفة علمية» عام ١٩٥٨م ، و«تجديد الفكر العربى» عام ١٩٧١م ، و«المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى» عام ١٩٧٢م ، و«ثقافتنا فى مواجهة العصر» ، و«مجتمع جديد أو الكارثة» و«قيم من التراث» و«عن الحرية أتحدث». و«حصاد السنين» و«قصة عقل» « وقصة نفس» .

الفصل الأول

صورة عامة لتطور حياة

زكي نجيب محمود الفكرية

كما قدمها بنفسه فى صالون الأوبرا الثقافى

طُلب منى أن أقدم – هذا اليوم – صورة موجزة عن حياتى الثقافية ، وهى مشوار طويل .

ولأبدأ بالعشرينيات حينما كنت طالباً فى هذه الفترة فترة العشرينيات التى أعتبرها قمة النهضة الحقيقية لنا، لا بعدها ولا قبلها . فقد سبقها تمهيدات ، لكن فى العشرينات بعد ثورة ١٩١٩م مباشرة كانت الثورة سياسية فى المقام الأول تريد طرد المحتل من أرضنا .

لكن هذه الثورة السياسية تفجرت عنها عدة ثورات فى عدة اتجاهات؛ ثورة اقتصادية (طلعت حرب) ؛ ثورة موسيقية (سيد درويش)؛ ثورة فى الشعر تبدت فى شعر العقاد أولاً على اعتبار أنه أول من جعل الشعر يتمحور حول الشاعر نفسه وليس للمناسبات الاجتماعية والسياسية ، ثم جماعة أبوللو ثانياً؛ ثورة فى النقد الأدبى .

وثورة النقد الأدبى منها تأتى ثورة الفكر كله . وهذا ما نجده عند العقاد أيضاً، ولكن عند طه حسين فى المقام الأول .

وقد قام طه حسين هنا بدور عظيم فى تاريخنا الفكرى من خلال النقد الأدبى ؛ لأنه أزال القداسة عن القديم وهذه خطوة هامة جداً فى النهوض . إن إزالة القداسة عن القديم لم يجعله ينقض القديم ، بل العكس فلقد أيده وعظم من شأنه ، ولكن هذا التأييد وهذا التعظيم يجيئان نتيجة بحث علمى وليس نتيجة أوهام أو عُقد أو أى موقف آخر تسوده العاطفة أو يسوده الإنفعال.



وهكذا فقد امتلأت العشرينات من هذا القرن فعلاً بإتجاهات جديدة؛ فقد كان كل كتاب يصدر، يصدر وكأنه خط فكرى جديد وليس مجرد كتاب!!

لقد كنت فى هذه الفترة طالبًا وقارئًا مجدًا جدًا . ولا أظن أن شيئًا فيما كتب فى هذه الفترة . كتبه هؤلاء الرواد العظام قد أفلت منى دون أن أقرأه .

وجاءت الثلاثينيات ودخلت معمعان الحياة العملية ، ومعمعان الثقافة العامة بكل قوتى، وبكل رغبتى . فقد كان هذا هو ما اخترته وما أميل إليه .

فى بدء الثلاثينيات كنت أعتقد أن زحمة الأفكار التى ملأت الجو على أيدى هؤلاء الرواد ليست كافية ؛ لأن المسألة ليست مجرد أفكار نتلقاها عن الغرب من جهة، وعن التراث من جهة أخرى. وقد كان هؤلاء الرواد يجيدون إجادة تامة هذين الطرفين ؛ فكل منهم كان يكاد يكون التراث على أطراف أنامله ، يعرفه معرفة جيدة كأنه فى بيته . وكذلك كان الأمر بالنسبة لما ينقلونه لنا من الغرب؛ وقد كان بعضهم ينقل من فرنسا عن الفرنسية ، وبعضهم الآخر ينقل من إنجلترا عن الإنجليزية .

لقد نجح هؤلاء الناس من الرواد فى أن يعطونا زاداً دسماً جداً عن ما هو التراث من خلال النفائس التى ينقلونها إلينا أسبوعياً ، أسبوعًا بعد أسبوع.ويعطوننا فكرة أيضًا عن ماذا يقوله أهل الغرب عندئذ فى عالم الفكر . لقد عرضوا لنا هذا وذاك بإجادة تامة وحقيقية .

ويعنى ذلك أنك كنت تقرأ لواحد من هؤلاء ؛ لطه حسين أو للعقاد أو المازنى أو هيكل فتستمتع بها غاية الإستمتاع، وإذا بك أيضًا فوق المتعة ازددت معرفة ببعض ما كان يدور على أقلام أدباء الغرب ومفكريه، وبعض ما تركه لنا الأوائل من أبائنا العرب والمسلمين .

ومع ذلك ، فما زلت أذكر كيف وقفت وقفة ذاتية، بينى وبين نفسى وقد امتلأت بكل تلك الأفكار عن طريقهم . لقد تساءلت : هل هذا يكفى ؟! هل يكفى أن توضع الأفكار فى صندوق الذاكرة وأسير بها كواحد يحمل حملاً؟!

لقد أحسست أن الذى ينقص هو أن أعرف المنهج الذى يفكر به هؤلاء الناس الكبار الذين ينقلون لنا أفكارهم من الغربيين .

إن الغربيين أو الغرب له منهج ، ومنهج مغروز فى طبائعهم عن طريق التربية ونظام التعليم . وله منهج يعنى له طريقة معينة فى التفكير . وقد كنت أحس بهذا حينما كنت أقرأ ما ينقلونه لنا من مولفات الغربيين . وتصادف أن تأكد لى هذا حينما بدأت أقرأ مباشرة لهؤلاء المفكرين

الغربيين وخاصة من الإنجليز على اعتبار أن اللغة الإنجليزية هى اللغة التى كنت أعرفها وأجيدها .

لقد كنت أشعر حينما أقرأ لهؤلاء أن الكتابة الأصلية عند صاحب الفكرة تشعرك باختراق الأفاق نحو مستقبل ما! . لقد كان الأدب الغربى كله فى تلك الفترة تواقا للطيران بأجنحة نحو مستقبل يختلف عن الواقع القائم، وقد كان الواقع القائم كله حروب، فقد كان ذلك بين حربين ، الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية .

فما هى الطريقة التى يفكرون بها حتى أتعلم منها ، فالمنقول عن التراث كان أقرب إلى محصول وجدانى لا يحرك العقل، على الأقل لا يُحرك عقلى أنا بالدرجة الكافية . فقد كانت نظرتى إليه نظرة جمالية أكثر ، لكن النظرة إلى ما أقرأه من الغرب أحسست أن فيها تحريك للعقل، فما أقرأه يولد دينامية داخل الكلمات مع أن الفكرة هى هى .

على كل حال ، فقد صممت حينئذ أن يكون تركيزى على أن أربى وأعلم نفسى . وأن يكون كل انتاجى منصبًا على التدرب على هذه الطريقة فى التفكير . فلقد اكتشفت أن الصواب هو أن أرد الأفكار كلها إلى طريقة التفكير فهذا هو المنتج . لكن من أين أبدأ ، ومن أين أستقى طريقة التفكير هذه؟!

طرأ على ذهنى حينئذ سقراط ، فكرة سقراط ؛ فأعظم ما فى سقراط هو أنه وضع منهجًا نقل الفكر الفلسفى من محيط إلى محيط آخر ، وهو المحيط الصحيح . إذ ما هى الفلسفة ؟!

الفلسفة هى ما عرفه سقراط «بالممارسة»! هى رد المواقف الجزئية إلى أصولها التى نبعت منها . هذه هى الفلسفة فى كل عصورها؛ أمامنا مواقف جزئية، وأمامنا مفردات جزئية فى الحياة والأشخاص إلى آخره .. إن الفيلسوف لا يكتفى بالوقوف عند هذه المواقف والمفردات الجزئية ، إنما هو يريد أن يتجاوز هذا السطح المرئى المسموع ، يريد أن يتعقب هذه المواقف نفسها إلى أصولها ، إنه يحفر تحت الفكرة القائمة أو الموقف القائم ليرى الينبوع ، فإذا ماوصل إليه يكون قد وصل إلى المبدأ ، إلى الأساس أو إلى التعريف!

فلنفرض مثلاً أننا نبحث عن «الحرية» ، ونجد موقفًا نعرف فيه أن هذا الإنسان المعين يتصرف تصرفًا حرًا أو يفكر تفكيرًا حرًا . هنا يبدأ التفكير الفلسفى ؛ ماذا فى هذا الموقف فيجعله حرًا؟! يبدأ التفكير الفلسفى فى استخراج العناصر الأساسية التى تكوّن مفهوم الحرية . المهم أنه عندما يصل الإنسان إلى الفكرة الأساسية ، الفكرة الأصل والمبدأ. المهم أن تكتسب الفكرة حركية التنفيذ .



إننى عندما أستمع فقط إلى فكرة أحدهم أو أقرأها فى كتاب فإننى أكون قد عرفتها ولكنها لا تحركنى نحو أن أسلكها فى نسيج حياتى العملية!! أما تحليل هذه الفكرة فهو الذى يعطيها حركيتها ، يعطى الجوانب المُحركة - الحركية، يعطى شدة الفهم ، شدة النور الذى يلقى على هذه الفكرة المعينة.

لقد صممت أن أتبع هذا المنهج عند سقراط[1] ، فأخذت المحاورات السقراطية الأربع، التى هى محاورات أفلاطونية التأليف لكنها تسمى عادة «بالمحاورات السقراطية» لأن سقراط فى هذه المحاورات الأربعة يتحدث عن نفسه وعن أفكاره هو . أما فى بقية المحاورات الأفلاطونية فهو شخصية مستخدمة، استخدمها أفلاطون ليقول على لسانها أفكاره هو . لقد ترجمت هذه المحاورات الأربعة فى أوائل عام ١٩٣١م وعام ١٩٣٢ ، لكى أدرس على محمل التطبيق المنهج الذى أعرفه كعنوان «بمنهج سقراط فى التفكير» ، وهو رد المواقف الجزئية إلى المبادئ، لأنه عندئذ تتحول الفكرة العابرة إلى مبدأ أشبه بالمبادئ الرياضية، مبدأ ثابت . وكانت هذه الترجمة هى أول أعمالى.

أما المعلم الثانى فى الثلاثينات ، فهو أنه فى يناير ١٩٣٣م أخرج المرحوم أحمد حسن الزيات مجلة «الرسالة» . وبمجرد ظهور تلك المجلة أحسست فى نفسى أن هذا وسيط جيد أكتب فيه . وانتظرت قليلاً ثم



بدأت أرسل إلى هذه المجلة مقالات كانت كلها فى الفلسفة إما عن الأشخاص أشخاص الفلاسفة أو عن المذهب أو عن الأفكار الفلسفية . كنت أرسل هذه المقالات أسبوعاً بعد آخر بالبريد .

وفى آخر هذا العام الذى بدأت فيه مراسلة المجلة فكرت فى أن أذهب لأزورها وأتعرف على أحمد حسن الزيات. فسألت : وقيل لى : أنه لم يفتح مكتباً خاص به إلى الآن . وأنه يجلس فى غرفة من غرف الشقة التى تسكنها لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وذات مساء ذهبت . وبالفعل وجدته جالساً على مكتبه وأمامه صديق . فلما قدمت لهما نفسى رحبا بى ترحيباً شديداً فرحت به فقد كنت شاباً صغيراً بالنسبة لهم ولم أكن أتوقع أن أكون موضع هذا التكريم كله . وعرفت أن هذا الصديق هو المرحوم الأستاذ أحمد أمين الذى سألنى : هل عندك مانع فى أن تنضم إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر . قلت له : أبداً فهذا شرف كبير جداً لى .

فقد كانت لجنة التأليف والترجمة والنشر تضم عدداً كبيراً جداً من نجوم المجتمع الفكرى فى مصر ، فضلاً عن أنها كانت هيئة شهيرة فى العالم العربى كله .

لقد استأذن أحمد أمين من الأستاذ الزيات لينفرد بى، وأخذنى فى الصالة وقال لى : ما رأيك فى أن نخرج سلسلة نكتب فيها تاريخ

الفلسفة بالأسلوب الذى تكتب به المقالات لأنه أسلوب يضع الفكرة فى بيان مقبول جداً عند القارئ من أواسط المثقفين .

وكانت فرحة جديدة أن أكلف بهذا التكليف . وما كان منى إلا أن انصرفت لأبدأ فى إعداد الكتاب ؛ أولاً : قصة الفلسفة اليونانية . ثم بعده فى جزئين قصة الفلسفة الحديثة . وراج الكتاب بأجزائه الثلاثة رواجاً كبيراً يلفت النظر حقاً .

ولعل هذا النجاح هو الذى جعل أستاذنا المرحوم أحمد أمين يعرض علىّ مشروعاً آخر . وهو أن نقوم بعمل سلسلة أخرى فى تاريخ الأدب فى العالم. فقد كنت كثيراً ما أُسأل عن هل هناك عند الأمم الأخرى الأدب والشعر المماثل للشعر والأدب العربى . لقد كان هناك جهلاً كبيراً بآداب الأمم الأخرى لدى الناس وحتى لدى من تخرجوا فى بعض الكليات والجامعات!!

على كل حال ، لقد كان هناك نقصاً كبيراً فى هذا المجال وكوننا فكرنا فى تقديم قصة تشرح الأدب العالمى عصراً بعد عصر ، فقد فكرنا فى شيء مفيد بالفعل. وقد بدأنا التنفيذ فعلاً، ولكن هذا المشروع قد أخذ مدة طويلة حيث استغرق العمل فيه حوالى عشر سنوات .

والغريب أنه قد أستخف بهذا العمل الكبير الضخم فى بعض الكتابات النقدية باعتبار أنه كتب للتبسيط . فلم يعطى له أحد أى قيمة!!

والحقيقة أن هذا التبسيط حينما يكون مطلوبًا لا ينبغى أن يُستخف به. هذه واحدة. أما الأخرى التى لا بد أن أذكرها عن نفسى ولم يذكرها أحد عنى ربما لأنه لم يعرفها ، فهى أنه لو قلنا أن الفلسفة اليونانية قد وضعت مصطلحاتها العربية قديمًا على أيدى العلماء العرب القدامى ، فإن الفلسفة الحديثة لم يكن قد سبق كتابنا فيها أى كتاب آخر اللهم إلا متناثرات هنا وهناك عن أى شىء يمس الفلسفة الحديثة ، أقصد الفلسفة الأوربية الحديثة .

إذن كانت هنالك مجموعة من المصطلحات الفلسفية الأوربية الحديثة كانت تتطلب أن تنقل إلى مقابلاتها العربية ! فمن الذى صنع هذا إلا نحن على طول السنين السابقة واللاحقة!! . وبالطبع كان من الطبيعى أن تسقط بعض هذه المصطلحات وأن يحل محلها مصطلحات أنسب . لكن بقت كمية كبيرة من هذه المصطلحات نحن الذين وضعناها . وهذا فضل يجب أن يذكر لنا .

أما فيما يخص قصة الأدب ، فقد كانت الكتب التى نقلنا عنها بها طبعًا نماذج معينة للشعر الذى نتحدث عنه فى السياق. وليس كل الشعر قابلاً للترجمة الجيدة، وكثيراً جداً ما تأتى الترجمة العربية للشعر الإنجليزى مسيئة له، ومسيئة للشاعر لأن النقل إلى العربية يفقده كل الرونق . وهذا ما جعلنى أتحمل عبء البحث عن نماذج أخرى غير

المذكورة فى الكتب التى نقلنا عنها، أعلم أو أرى أنها صالحة للترجمة دون أن تفقد رونقها كثيراً. وهذا عمل آخر يجب أن يحسب لنا .

إن هذه الكتب فى «قصة الفلسفة» و«قصة الأدب» صدر بعضها منذ ستين عاماً، وصدر بعضها الآخر منذ خمسين عاماً. ومنذ هذا التاريخ يعاد طباعتها مرة بعد أخرى ، ويعاد بيعها وشرائها وقرائتها مما يدلك على أن فكرة أن تعرض الفلسفة والأدب بأسلوب يفهمه كل من يستطيع أن يقرأ دون الإخلال بالمادة الأساسية ، كانت فكرة جيدة . وأعتقد أننا حينما قمنا بها أدينا خدمة كبيرة يمكن أن نطلق عليها «إعلام ثقافى» على مستوى رفيع.

على كل حال ، نحن لا نزال فى الثلاثينات ، ولدى فيها نقطة أخيرة مؤنسة ؛ فحينما دنوت من أواخر الثلاثينات كنت قد رأيت عن قرب كبار الرواد الذين كانوا يترددون على لجنة التأليف والترجمة والنشر، ورأيت منهم على مقربة ما لم أكن أتصوره على مبعدة!!

رأيت منهم ، أنهم برغم أنهم يتحمسون كل الحماس فى كتاباتهم للقيم الإنسانية وللحقوق الإنسانية ، للكرامة الإنسانية ، ولحرية الفرد ... إلخ.. يأبى الواحد منهم أن يكون هذا الحق إلا له هو ، وليس لأى شخص آخر وخصوصاً إذا كان أصغر منه سناً ، وأنا حقيقة لا أتحدث هنا عن نفسى، وصدقونى إذا قلت لكم أننى لم أكن أتحدث فى حضرة

هؤلاء الرواد لأننى كنت أجلهم إجلالاً وكأنهم ملوك على الأرض. ولم أكن مخطئًا فى هذا التصور لأنهم كانوا ينبوع الثقافة، كانوا محركوا ثقافتنا. لقد كنت أعرف قدرهم جيداً، ولكننى عندما كنت ألمح طريقتهم هذه فى التعامل كنت أجد أن ما يكتبونه وما يطلبونه لأنفسهم لم يكونوا يطيقون أن يروه مجسداً فى أشخاص أصغر منهم قيمة أو سناً أو غيره!!

لقد وجدتنى حينئذ أتساءل : إذن ما الفائدة ؟! وكيف يمكننا أن نتقدم بهذا الشكل ؟!

وبدأت من هذه النقطة المؤنسة اليائسة أكتب عن الضعف الخلقى، عن ذلك الإستبداد الذى يطبق فى مصر كلما وجد المرء إليه سبيلاً. إنه حتى هؤلاء الذين يروجون للقيم الجديدة قيم الحرية واحترام الكرامة والاستقلالية وهكذا.. لم يستطيعوا أن يحملوا على عواتقهم الحمل كاملاً فى دنيا التنفيذ ودنيا العمل! فكيف نتقدم إذن!! لقد بدأت فى كتابة سلسلة من المقالات المهمة فى أواخر الثلاثينات ، مقالات تنتمى إلى ما أسميه «أدب المقالة» ؛ فالمقالة ليست مجرد معلومات أو أفكار يلقيها الكاتب! فلكى تكون المقالة أدبًا لا يكفى أن تكون مكتوبة بأسلوب أدبى أو بشكل جيد مثلاً أو أى شىء من هذا القبيل ، لأنك تستطيع أن تكتب فى علم الاقتصاد، وفى التربية والتعليم كيفما شئت بأسلوب جيد، ولكن لا يكون ما كتبت مقالة أدبية!!

إن أدب المقالة[٢] يقتضى كأى أدب آخر سواء كان قصة أو مسرحية، وكأى فن آخر ، يقتضى شروطًا أهمها : أن يكون هنالك ما يسمى "form" شكل! فماذا يعنى «الشكل» ؟! يعنى أنه لا بد للكاتب أن يختار وسيلة أخرى موازية ، فيها موازاة بين الفكرة التى يعرضها والصورة التى يريد أن يقدمها للقارئ بحيث تصل هذه الصورة عن طريق غير مباشر . كأن يستخدم الكاتب أسطورة من الأساطير القديمة أو قطعة من التاريخ الحقيقى يراها تصور ما يراد تصويره . أو حلم من الأحلام يحلمه فعلاً أو يزعمه ويدعيه، أو تأتيه خطابات هى من وحى خياله . إلخ . لكى يجعل منها وسيلة للتشكيل الأدبى للمقالة، ذلك التشكيل الذى يجعل المادة المعروضة من الأدب .

ولأذكر لكم من مقالاتى المهمة فى هذا المجال مقالتين من المقالات التى كتبتها فى أواخر الثلاثينات ؛ مقالة «البرتقالة الرخيصة» ، ومقالة «ذات المليمين» .

انتهت الثلاثينات وبدأت الأربعينات . ولنلاحظ أننى أقولها الثلاثينات والأربعينات وليس الثلاثينيات والأربعينيات كما يقال ، وذلك لأننى أعتقد أن ذلك هو الأصوب لغة ما دامت مترجمة وليست من أصل عربى؛ فكما نقول فى الإنجليزية Twenty (تونتى) ، Thirty (ثيرتى)، Forty (فورتى) ، فينبغى أن نقول فى العربية العشرينات ، الثلاثينات، الأربعينات... إلخ.

أقول انتهت أعوام الثلاثينات وبدأت أعوام الأربعينات التى شهدت تحولات لا أظن أن هنالك عقداً من السنين قد حملها فى التاريخ الذى عشناه . وقد عشنا حمل كل هذه التحولات على كل المستويات من أعلاها إلى أدناها. لقد عايشناها جميعًا؛ فعلى المستوى العالمى كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت سنة ١٩٤٥م ، وما تبعها من نتائج جسام كان أهمها أن البلاد المستعمرة قد أخذت تستقل بعد تلك الحرب عن مستعمريها بلداً بعد آخر إلى أن انتهى الاستعمار بشكله المعروف نهائيًا . وأظن أن آخر هذه البلاد التى استقلت كانت ناميبيا! وعلى المستوى العالمى أيضًا أنشئت هيئة الأمم المتحدة، كما أنشئت بعدها بعام واحد تقريباً هيئة اليونسكو ، ثم ظهرت وثيقة حقوق الإنسان .

وكل هذه الأشياء أصبحت بالنسبة لنا كمصابيح للحياة ، كنا نبدأ بها حياة جديدة فى العالم .

أما على المستوى العربى ككل فقد أنشئت جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥م ، كما زرعت إسرائيل على أرض عربية. وكان هذا الحادث، حادث زرع إسرائيل حادثًا من شأنه أن يقلق من لا يحس لأنه كان بمثابة زلزال! إن أهم ما رأيته فى زرع إسرائيل هذا بعدما نضجت أكثر أننا كنا قبله ننفر من قوة العصر علمًا وصناعة .. ولما جاءت إسرائيل ووضعت فى أرضنا وضع العصر فى أرضنا !! فأصبح الحرج أشد

والموقف أصعب؛ إذ لم يعد بيننا وبين العصر بحراً علينا أن نعبره ، بل أصبح العصر معنا!! ومع ذلك فهو يستغل العصر وقوة العصر «يقصد إسرائيل» بكل جبروتها ونحن عُزّل .

ثم بدأت الحرب بين العرب وإسرائيل بعدما أنشئت إسرائيل بعد قرار التقسيم الذى كان فى نوفمبر ١٩٤٧م ، أنشئت كدولة وككيان فى مايو ١٩٤٨م .

لقد نشبت الحرب بيننا وبينهم ؛ الكتلة العربية كلها مع ما لا يزيد عن ٦٠٠ ألف أو ٧٠٠ ألف يهودى أيامها ! ومع ذلك انتصر اليهود وانكسر العرب!!

لقد أحدثت كل هذه الأحداث تحولات جذرية. ومن هذه التحولات على مستوى مصر كان القلق الشديد جداً الذى انتاب الشباب المثقف خصوصاً فيما بين نهاية الحرب العالمية الثانية وثورة يوليو ١٩٥٢م .

وأذكر جيداً ذلك الشباب المصرى المتحمس ، وأولئك الكُتاب المتحمسون الذين كانوا يخرجون الصحيفة تلو الصحيفة، والمجلة تلو المجلة! وكانت كل صحيفة تخرج لتقول شيئًا فتغلق، فتظهر أخرى لتقول شيئًا آخر فتغلق. وكذا الأمر فكل مجلة تخرج لتقول شيئًا فيتم غلقها، فتظهر مجلة أخرى لتقول شيئاً آخر فيتم غلقها هى الأخرى .. وهكذا .. وكانت كل هذه الحركة فى تلك الصحف والمجلات متجهة

تقريبًا نحو «الإشتراكية»! ومع أن هذه الكلمة كانت مُحرمة أنذاك لكنهم أخذوا الجرأة فى أن يقولوها ثم تغلق صحفهم ومجلاتهم!!

أذكر أنه لما نشبت الحرب بيننا وبين إسرائيل فى عام ١٩٤٨م ، كان الضباط المصريون من أصحاب ثورة ١٩٥٢م أو جمال عبد الناصر على الأقل، كانوا فى تلك الحرب .

إن ما قام به جمال عبد الناصر ، وكل ما عمله كان ترجمة لذلك القلق الذى أبداه الشباب المثقف فى السنوات الخمس السابقة على الثورة.

لقد كانت السنوات الخمس من عام ٤٥ إلى عام ١٩٥٠م تحديدًا، قد شهدت نشاطًا ثقافيًا من نوع فريد ، ومن نوع غامض أيضًا !!

وقد كان فحوى هذا النشاط الثقافى الغامض «هوجة كلامية»، «هوجة» كتابية وطموحات أقرب إلى الأحلام التى يعبر عنها المتكلمون فى كلامهم ، والكتاب فى كتاباتهم . وقد ترجم عبد الناصر بثورته ، ترجم ما نادى به هؤلاء الناس إلى واقع غير وجه المجتمع !

أما على المستوى الرابع ، وهو المستوى الشخصى . فقد حدث التحول العظيم فى حياتى، حدث هذا التحول حينما أرسلت فى بعثة إلى انجلترا للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة . ولم يكن هذا أول سفر لى إلى إنجلترا؛ فقد ذهبت إليها قبل ذلك فى بعثة قصيرة سنة

١٩٣٦م ، فشاهدت إنجلترا قبل الحرب ، وشهدتها فى الحرب . وفى كلتا الحالتين حدثت لى صدمة حضارية، صدمة أستطيع أن أسميها صدمة شديدة جداً .

لقد تركت مصر وعندى عنها صورة دقيقة جداً وخاصة عن الناس وعن تعاملاتهم اليومية التى تتم بطريقة طبيعية وبدون تكلف. ومن هذه التعاملات الغريبة أن يهين المصرى، المصرى. فهذا أمر كان لا يحرك ضميراً لأحد!! كل المسألة أن هذا أكبر من ذاك فى الوظيفة ، أو أكثر منه مالاً أو أكبر منه فى المنصب.. إلخ . هذا الأكبر كان كأنما قد أعطى رخصة إلهية لأن «يدوس» بقدميه على من هم دونه!! ومن هم الذين دونه؟! إنهم كانوا إما عمالاً أو فلاحين!! فعلى سبيل المثال كان أى عامل حرفى حينما يأتى إلى بيت من بيوتنا ليقوم بإصلاح عطل كهربائى أو حنفية مياه . كان هذا العامل يعامل من صاحب البيت أو من ربة المنزل معاملة فيها تعالى رغم أنه لا يوجد أى مبرر لهذا التعالى ! والأغرب أن هذا العامل الحرفى كان يتقبل هذا الأمر ويجد أنه «وضع طبيعى» !!

هذا الوضع ، وهذا الموقف الاجتماعى لا يمكن قبوله عند أى ضمير حى وخصوصًا عند ضمير متدين يعلم أننا كلنا بشر أمام الله ، وكلنا على بُعد واحد من الشمس . لكن على أى حال ، فقد كان هذا حالنا فى مصر!!

وعندما ذهبت إلى إنجلترا وجدت صورة أخرى تمامًا . فقد وجدت العامل يتحدث مع عميد الكلية التى يعمل بها وكأنه واحد من أصدقائه. وجدت أنه ليس هناك شيء اسمه : «هات قهوة»!! فهناك فى ركن من أركان حجرة العميد منضدة عليها أدوات عمل القهوة ، فإن أراد احتساء فنجان قهوة، فهو الذى يقوم بعملها لنفسه!؟ أما أقوى منظر رأيته فى هذا السبيل ، فكان منظر وزير فى وزارة العمال التى أتت بعد الحرب. فقد رأيت الوزير «نيول بيكر» وكان مشهوراً بقوة الشخصية . رأيته خلال زيارتى له بعدما طلبته فى خدمة معينة لى، رأيته فى حوالى الساعة الثالثة ينزل مع كل موظفى وعمال الوزارة ليحتسوا الشاى!

رأيتهم جميعًا وهم يقفون فى طوابير وهناك منضدة وضعت عليها أدوات الشاى والقهوة .. رأيت كل واحد منهم يقف فى الطابور وفى يده طبقًا وشوكة وسكينة وفوطة ورقية . وحينما يصل الواحد منهم إلى المنضدة يطلب ما يريد إن كان شايًا أو قهوة ثم يمشى!! رأيت هذا الوزير يقف فى هذا الطابور الطويل وأمامه أحد السعاة فى وزارته ، والغريب أنه لا الساعى أقلقه أن الذى يقف خلفه هو الوزير ، ولا الوزير أقلقه أن الذى يقف أمامه هو أحد السعاة!! لقد جعلنى هذا الموقف أتأمل مع نفسى الأمر مدة طويلة!! ؛ إذ من الجائز جداً أن ينشأ فى مصر وزير له من ثقافته ما يعطى للساعى فى وزارته هذا الحق . ولكن المصيبة الكبرى

أننى تركت مصر والساعى فيها لو وجد نفسه أمام وزير أو من هو دونه يضطرب وربما يقع على الأرض من الفزع و«الخضة» !!

لقد كانت الصدمة الحضارية عندى من أمثال هذه الأشياء التى يبدو منها الفرق الحضارى بين المعاملة بين البشر على أساس احترام إنسانية الإنسان مهما كانت درجته الوظيفية أو مهنته أو ما يملكه .. إلخ فى أوربا، وبين هذا الاستبداد بالبشر والتعالى من بعضهم على بعضهم الأخر لمجرد أن ذلك يملك المال أو يملك المنصب الأعلى الذى كان سائداً فى مصر فى تلك الأيام!!

وبالرغم من وجودى فى البعثة وانشغالى بدراسة المقالة الأدبية التى هى أقرب إلى الرمز، إلا أننى أرسلت الكثير من المقالات لتنشر فى مصر . وكانت هذه المقالات هى التى جمعت فى كتاب صغير أطلقت عليه اسم «جنة العبيط» .

وبالطبع فقد أتاح لى وجودى هناك الإتصال أكثر وأكثر بعالم الفكر الأوربى عامة والإنجليزى خاصة . وقد وجدت الفارق بعيد جداً جداً بين المثقف المصرى كما كنت أعرفه حتى كبارنا وروادنا وبين المثقف الإنجليزى .

وقد كان من أكثر ما لفت انتباهى فى تلك الأثناء ونحن نعيش فى عصر العلم - فمن المفروض أن يسود بين الناس منهجًا فى التفكير

يتناسب مع هذا العلم ، وكونى أفكر تفكيراً علميًا يقتضى أن تكون اللغة، العبارة، الجملة مما يمكن تطبيقه بمعنى أنه ينبغى أن تكون العلاقة بين الجملة وتطبيقها على أرض الواقع مباشرة ، وألا تكون هنالك تلك المفارقة البعيدة جداً بين ما يقال وما يكتب من ناحية ، وبين الواقع من ناحيةأخرى؛ فمثلاً عندما تترجم مقالة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية ستجد أن هناك حواشى كثيرة لا تدخل فى المعنى ، على حين أنه يحدث العكس حينما تترجم من الإنجليزية إلى العربية؛ لأن الذى ستجده من زوائد قليل جداً ! .

إن الفكر العلمى ليس من الضرورى أن يكون عند العالم فى المعمل فقط، فالأسلوب العلمى فى التفكير عندما يتسرب نقطة نقطة إلى الشعب ليكون هو اسلوبهم فى الكتابة ، وفى الكلام سنجد أن الفرق قد تراكم بمرور الوقت لنجد أن هناك من يعيشون فعلاً فى دنيا الواقع ، بينما نجد هناك غيرهم لا يعيشون فيها ولا عن طريق لغتهم[٣] !!

لقد تراكم كل ذلك عندى، فاتجهت نحو دراسة ما كان قد ظهر حديثًا فى الفكر الأوربى نفسه، ألا وهو ما يسمى بالوضعية المنطقية أو التجريبية العلمية وهذا مما أسىء فهمه إساءة غريبة!! وتوضيحه مما يهمنى جداً.

إننى عندما رجعت من البعثة، وبدأت التدريس فى الجامعة، تقرر أن أدرس «المنطق» . إنها كانت مادة صعبة ولذلك أعطوها لى . ورغم أنها لم تكن من تخصصى فقد قبلت تدريسها . وقد أراد بى الله خيراً لأننى أكتشفت أنها مادة مهمة ومفيدة فى تحقيق ما أطمح إليه ، لقد وجدتها قريبة التناول وسهلة الإستخدام لما أريد أن أضغط عليه وأنبه إليه فى حياتنا الفكرية.. إن بها إجابات عن أسئلة من قبيل: كيف يمكن أن تصيغ العبارة السليمة حينما تكتب فى موضوعات جادة بحيث تكون عبارة علمية الطابع ، عبارة ليس بها حشو أو زيادة عن المطلوب! ، عبارة يكون فيها تلك الموازاة بين الجملة والأمر الواقع الذى جاءت الجملة لتعبر عنه !

إن هذا مما تدعو إليه الوضعية المنطقية . إن هذه الوضعية المنطقية ليست مذهباً فلسفياً لأنها ببساطة لا تغطى الموضوعات التى تهم الإنسان مثل موضوعات الكون ، والله ... إلخ .

إنها فلسفة لغة، فلسفة لغة علمية. وأصحابها يعرفون تمامًا أنه ليس العلم وحده هو حياة الإنسان . ولكن العلم جزء مهم من حياة الإنسان . وينبغى أن يكون لهذا الجزء المهم - العلم لغته الخاصة ، وله صياغته التى تتناسب مع ما يريد التعبير عنه . أما المجالات الأخرى من آداب وفنون .. إلخ فهى أيضًا لها تعبيراتها الخاصة مثل التعبيرات الوجدانية

كما هو الحال فى لغة الشعر التى تتميز باستخدام طرق لغوية مختلفة من الطرق التى تستخدم فى العلوم.

وأريد هنا أن أؤوكد على حقيقة من الحقائق التى تزيدنا وضوحًا ومعرفة. أريد أن نلاحظ أنه فى الأربعة قرون التى عاشتها أوربا بعد النهضة كان العلم الطبيعى - وهذه نقطة مهمة جدًا أرجوكم الإنتباه إليها لأنها محورية لمن يريد أن يغير حالنا فى حياتنا الفكرية - مختلفًا تمامًا عن الصورة التى درجت عليها البشرية قبل ذلك؛ فمن أول حياة البشرية فى التاريخ إلى القرن السادس عشر الميلادى كان الفكر الإنسانى يتم بصورة مختلفة عما بدا عليه منذ هذا القرن؛ كان المفكر قبل ذلك القرن أيا كان هو وأيا كان موطنه عربيًا أو غير عربى، كان يفكر بمنهج واحد - هو المنهج الذى لم تشهد البشرية غيره قبل القرن السادس عشرب باستثناءات قليلة لا تكاد تذكر - وهذا المنهج كان يستند على أن يكون هناك «نص» أو «كلام» أو «عبارات» . ويكون التفكير هو أن أنسل أو استخرج من هذا النص أو من هذا الكلام أو من تلك العبارات ما يمكن أن يؤخذ منها من نتائج، بمعنى أن أخرج من جوف هذا النص ما يمكن أن يلده من نتائج. فإذا ما أخرجت هذه النتائج اللازمة عن هذه العبارات فى ذلك النص أعتبرها صحيحة . وذلك لأننى افترضت منذ البداية أن هذا «النص» الذى أخذت منه هذه النتائج لا بد أن يكون

صحيحًا. هذا هو نمط التفكير الذى لم تكن تعرف البشرية نمطًا سواه حتى القرن السادس عشر . ولحسن الحظ فى تلك الفترة الطويلة جدًا أن العلوم الرياضية كانت تواكب هذا النمط من التفكير وتجرى مجراه . فالعلوم الرياضية غير العلوم الطبيعية؛ فهى أى العلوم الرياضية تجرى هذا المجرى لأنها تضع لنفسها مسلمات ثم تولد من هذه المسلمات نتائجها، فتكون هذه النتائج هى النظرية ، وهذا ما حدث مثلاً فى هندسة اقليدس .

ولذلك برع العرب وتفوقوا فى الفكر لأنهم كانوا سبّاقين وأسبق من أى أمة أخرى فى هذا المنهج . فلقد برع العربى جدًا فى هذا التوليد من النص؛ توليد النص نتائجه بما فى ذلك النتائج الرياضية فى العلوم الرياضية . ولذلك كان منهم الرياضيون العظام ، والفقهاء العظام لأن الفقه ما هو إلا استخراج نتائج وأحكام من النص القرآنى أو من نص الحديث الشريف . كل ما قدمه العرب كان يدور حول هذه الطريقة ، وكذلك كل ما قدمه من سبقوقهم .

لكن منذ أوائل النهضة الأوربية ابتداءً من القرن السادس عشر كسرت أوربا هذا الطوق. وبدأت لا أقول تحل محل القديم شيئًا جديدًا، ولكن بدأت تضيف؛ فالقديم لا شك منه ما هو مطلوب، والفكر فى حاجة إلى ذلك التوليد الذى أشرنا إليه . إن الأوربيين كسروا الطوق

ليقرأوا ظواهر الطبيعة . هذا هو كل الفرق بيننا وبينهم وحتى الآن ... هو يقرأ الحقيقة كما هى واقعة فى الطبيعة ، الصوت ، الضوء، الجاذبية، الكهرباء، المغناطيس، كل هذه الأشياء تُقرأ فى الطبيعة وتستخرج قوانينها. وعندما نستخرج قوانينها نستطيع أن نُلجمها بلجام هذه القوانين ونستخدمها فى صالحنا، صالح الإنسان . ومن هنا تتطور المسألة، يتطور العلم ويصل الأمر إلى ما وصلوا إليه الآن فى استخدام القوانين الطبيعية . إن هذا الاستخدام لقوانين العلم جعلهم يطيرون فى الهواء، ويغوصون فى الماء، ويصنعون الأقمار الصناعية وغيره من كل ما نسمع عنه الآن ..

هذا ما أضافوه ، أما نحن فقد وقفنا ، بل على العكس، لقد تدهورنا؛ فهم نهضوا بهذا الطريق الجديد الذى أضافوه ولا أقول أحلوه محل القديم، لقد أضافوا قراءة كتاب الطبيعة إلى جانب قراءة المسطور بالقلم. أما نحن فقد تدهورنا لأنه وبالصدفة جاء الفتح العثمانى ، جاء الأتراك وأخذونا فبدأنا الدخول فى عصورنا الوسطى!

ولنلاحظ هنا أن ما يسمى عادة بالعصور الوسطى هى العصور الوسطى الأوربية ولا يصح أن نجعلها عصوراً وسطى لنا ولهم فقد كنا نحن فى تلك العصور مزدهرين ومتقدمين بينما كانوا هم متخلفين .

إن عصورنا الوسطى هى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، فهذه القرون لم يكن فيها اطلاقًا إلا التكرار لما قد قيل من قبل؛ فعلماء الأزهر عندئذ كان منهم من يشرح كتاب ، وكان منهم من يُهمش على كتاب، ومنهم من يلخص كتاب كانت هذه هى مهمتهم وكان هذا هو ما شغلهم ولا توجد أى إضافة جديدة!! أقول ذلك وأنا ممتلئ باليقين لأننى تحققت منه بنفسى . فقد وجدت بالمصادفة فى مكتبة جامعة الكويت حينما كنت هناك أربعة أجزاء من موسوعة أصدرتهم شركة واحدة بشكل موحد رغم أن كل جزء من هذه الأجزاء قام بتأليفه مؤلف مختلف . الموسوعة كانت عن علماء المسلمين فى القرن السادس عشر، والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . وقد اهتممت خاصة بالجزء الخاص بالقرن الثامن عشر السابق على حملة نابليون على مصر لأعرف ماذا كان فى الأزهر عندما جاءت أوربا إلى بلادنا؟!

وقد استعرضت كل ما ورد فى هذا الجزء صفحة، صفحة لأننى صممت على أن ألتقط فقط علماء المسلمين المصريين . والسبب الذى جعلنى أركز على ذلك هو عبارة وردت فى «الميثاق» الذى أصدرناه عام ١٩٦٢م تقريبًا. لقد جاء فى تلك العبارة أننا نعجب من هؤلاء الذين يقولون أن نهضتنا بدأت من نابليون وحملته على مصر مع أنه فى القرن الثامن عشر كان الأزهر يعج بالعلماء!

فكان التساؤل : أين هم هؤلاء العلماء؟! ومن هم؟! . لقد التقطت من تلك الموسوعة هؤلاء العلماء واحداً واحداً وتعرفت على أعمالهم، فوجدتها كما قلت لحضراتكم كلها شرح، وتهميش، ودرس الكتاب الفلانى ودرسه .. إلخ. هذا كل ما كانوا يصنعونه!

لقد كان هذا جهدى فى الخمسينات . وإذا ما انتقلنا إلى الستينات، وجدت أن أهم ما فيها كان ما عرضته علىّ وزارة الثقافة المصرية. لقد عرضوا علىّ أن أخرج مجلة وأن أشرف عليها . وقبلت المشروع واقترحت الاسم وكان «الفكر المعاصر» .

وجعلت من مهمتى فى المجلة إلى جانب الإشراف، كتابة مقالة موسعة كل شهر. وكنت فى هذه المقالة ألتقط أحد المفاهيم السائدة فى مصر آنذاك. وكلها كانت مفاهيم اشتراكية. ولا بأس فى ذلك. فأنا لست رجل سياسة أبداً ولا أحب أن أكون حقيقة! إن مهمتى كانت تتلخص فقط فى تحليل الأفكار؛ فعندما أجد فكرة ملأت الأجواء أحللها كما لو كنت أقوم بتشريح ضفدعة. لم يكن من المهم عندى أبعادها السياسية فقد كنت أقوم بمهمتى الفكرية بعيداً عن السياسة . لقد كانت مهمتى تتركز حول محتوى هذه المفاهيم! ماذا تحتوى عليه فكرة اليسار اليمين، صراع الطبقات، الإقطاع والإقطاعية إلخ. هذه الأفكار والمفاهيم التى كانت شائعة . لقد كنت أحلل هذا الكلام تحليلاً أميناً، تحليلاً

منطقيًا سليمًا؛ ماذا تعنى هذه المفاهيم بالضبط؟! وما هى عناصرها؟! وفى معظم الأحيان كنت أعرض التحليل وهو تحليل كان ينتهى بالقارئ عادة أو فى معظم الحالات إلى أنها فارغة أو متناقضة!! فكيف لى أن أحدث تغييرًا فى مجتمع بأكمله على أساس أهوج؟! لقد نقلت هذه المفاهيم عن الغرب، ولم تفهم لأنها نقلت نقلاً سطحيًا وفهمت فهمًا سطحيًا ثم بنى عليها التغيير ، فكان التغيير نفسه غير قابل للدوام!!

فلا غرابة إذن أن يحدث كل سنة أو سنتين تغييرًا ، وهذا طبيعى لأن التطبيق يُظهر مواضع العيب!! .

وننتقل الآن إلى الفترة الباقية وهى السبعينات والثمانينات إلى اليوم . ونستطيع أن نقول إجمالاً أن الكتب التى أصدرتها وهى كثيرة فى هذه الفترة كلها كانت نتيجة ماعبأت به نفسى طوال السنوات الماضية . لقد كانت سلسلة من الكتب عن الثقافة العربية الآن . وكانت القضية الأساسية المطروحة فيها هى هذه القضية الكبرى التى ملأت الكتب من نواحى مختلفة ؛ كيف نوفق؟! أى كيف نوفق بين التراث الذى لا بد منه لكى نكون عربًا أو مسلمين ، وبين ثقافة العصر الذى لا بد أن نعيشه، والعصر هو عصر العلم ، وعصر لغة العلم؟! فهل هناك تناقض بين أن أكون مسلمًا مصريًا وعربيًا، وأن أكون عالمًا؟!

ولتلاحظوا الفرق الكبير جداً بين أن أحفظ العلم وبين أن أنتجه مع من أنتجوه!! فليس كل من حفظ العلوم صار عالمًا !! فلكى لا تخطئ لابد أن نفرق بين العلماء وحفظة العلم؛ العالم هو الذى ينتج علماً يعنى يضيف فى المجال الذى تخصص فيه ويقول أنه عالم فيه!!

أنا أدعى، وأدعى وكلى أسف أنه يستطيع من يشاء أن يكتب تاريخ العلم المعاصر دون أن تذكر مصر فى سطر واحد ؛ لأنها لم تفعل ولم تنتج ما يُذكر!! لقد أخذت ببراعة ما أخرجه الآخرون وأخرجت أساتذة ومعامل لكنها لم تخرج علماء أو إنتاج علمى يمكن أن يذكر!! فالحركة العلمية عندنا مجرد ظل قائم لشيء ولد هناك ولم يولد عندنا!!

ولا أمل إلا أن نشارك فى العلم مشاركة جادة كما فعلت اليابان أو الجنس الأصفر كله . إن اليابان تعطينا الدرس ، فقد عرفت كيف تضيف الأسرة إلى المعمل ، عرفت كيف تنقل تقاليد الأسرة التى هى صميم الثقافة اليابانية ليصبح المعمل أسرة أخرى ولا يوجد تناقض بينهما ...

على كل حال .. هذه هى حياتى .. وقد قيل لى أننى أطلت فمعذرة للإطالة.

(تصفيق)



الحوار الذى دار بين
زكى نجيب محمود ومفكرى مصر

السؤال الأول: أ. د. حسن حنفى (أستاذ الفلسفة بكلية الآداب - جامعة القاهرة) :

نشكر أ.د زكي نجيب محمود على هذا التقديم . وفى الحقيقة أن هناك تساؤلات نريد أن نستوضحها منه .

أولاً : هناك تساؤل يتبادر إلى أذهان زملائه وطلابه عن هذه المرحلة التى بدأت فى السبعينات بالمقارنة بالمرحلة السابقة عليها؛ هل هناك تواصل أم انقطاع؟ ؛ هل هناك استمرارية بين المنهج التحليلى والوضعية المنطقية اللذان سادا قبل السبعينات ثم تطبيق ذلك فى التراث العربى - الإسلامى؟! هل التواصل فى المنهج أم هل هناك تغير فى الموضوع؟ هل هناك مرحلتان فى حياة الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود أم هناك مرحلة واحدة متصلة؟!

وثانيًا : أما السؤال الثانى الذى يتبادر إلى الذهن عن ما قاله الدكتور زكى نجيب محمود باستمرار عن الشرق الفنان والغرب العالم، وأننا كعرب عُرفت عبقريتنا فى اللغة، وفى الأدب والشعر والتصوف وفى الدين إلخ.. أما الغرب فعبقريته فى العقل والعلم وحقوق الإنسان .. إلخ .. ألا يعتبر ذلك قسوة علينا وأننا أعطينا أقل مما نستحق! وربما أيضًا يكون الغرب قد أعطى أكثر مما يستحق!؛ فلدينا علم وعقل فى التاريخ، كما أن لدى الغرب تصوف ووجدان أيضًا. إن هذا التفاعل بين غروب من الشرق، وشروق من الغرب نريد أن نستوضحه من أستاذنا الدكتور زكى نجيب .

الأستاذ الدكتور. زكي نجيب محمود :

أما عن السؤال الأول : هل هما مرحلتان فى حياتى أم مرحلة واحدة؟!

فى الحقيقة أننى لم أتغير حقيقة أبدًا فى هذه النظرة أو فى تلك الوقفة (يقصد فى رؤيته التحليلية العلمية)، إلا أن التطبيق قد اختلف؛ فالكتابة الحديثة التى نستطيع أن نقول أنها بدأت كما تقول بكتاب «تجديد الفكر العربى» سنة ١٩٧٠م وإلى يومنا هذا. قد انصرفت عن المادة العلمية بمعناها الضيق، ذلك الذى كان يسود كتبى السابقة أو معظمها، فقد كانت كتبًا كتبت للجامعة مثل كتاب «المنطق» فى جزئين، وكتاب «برتراند رسل»، وكتاب «ديفيد هيوم» ومع ذلك فقد كتبت لتخدم هذا المذهب الذى ذهبت إليه فى كتابى «نحو فلسفة علمية». نفس الشىء كان فى كتاب «جابر بن حيان» .. إلخ . كل هذه الكتب كتبت فى موضوعات شغلتنى لكنها كانت فى نفس الموضوع .

أما كونى أطبق هذا المنهج نفسه، المنهج التحليلى ، تحليل اللغة فى قضايا الثقافة القائمة، الثقافة المعاصرة وفى التماس طريق يصل تراثى بالعصر، فهذا هو الذى شغلنى فى المرحلة الثانية. ولكن ذلك تم دون أن يكون هنالك تغيير فى المنهج .

أما بالنسبة للسؤال الثانى ، فقد ظلمتنى يا دكتور حسن لأننى فى كتاب «الشرق الفنان» عندما قسمت الثقافات كما عرفها التاريخ، قسمتها إلى ثلاثة أصناف أو ثلاث اتجاهات وليس اثنين!؛ فهناك الصنف الأول - الطرف الغربى - اليونان فى أوله وامتداده فى الغرب حتى يومنا هذا . هؤلاء يدورون حول محور أساسى هو منطق العقل - التحليلى . وانظر إلى ما كتبوه: أنظر إلى فعل سقراط، وماذا كتبه أفلاطون ، وماذا كتب أرسطو .. وهكذا . وبالطبع ستجد إلى جانب ذلك المحور الأساسى أن الأمر لا يخلو من أن يكون لديهم شعراء وأدباء من الطبقة الأولى. لكننا حينما نتكلم عن علم أو لا علم، يكون مجال حديثنا عن المادة أو المجال الصالح لأن يكون علماً لمن أراد أن يكون صاحب نظرة علمية .

أما الطرف المقابل لهذا الطرف ذا النظرة العلمية، فهو الشرق الأقصى ، الهند - الصين فالمعروف فى تراثهم الفكرى كما نجد فى المهابهاراتا الهندية وفى كتابات بوذا.. إلخ أننا نقرأ ولا نجد أبداً أى قطرة تشبه التحليل المنطقى الذى نجده عند أرسطو أو عند أفلاطون، إنما نجد حكمة، حكمة حياة، تلك الحكمة التى أصبحت دينهم. إنها تستخدم وسيلة إدراك هى نفسها الوسيلة الإدراكية التى تستخدم فى التصوف أو فى تذوق الفن .. الفن يريد لقطة مباشرة، وكذلك الإيمان الدينى يريد لقطة مباشرة ولا يريد إقامة برهان.

أما بالنسبة للعرب، وبصفة خاصة بعد الإسلام. وأنا أقول بصفة خاصة لأننى توصلت بعد طول بحث وتفكير إلى أن كلمة عرب - ع. ر. ب لا تهمنى بقدر ما يهمنى النمط الثقافى فى هذه المنطقة المعروفة الآن بالعربية. إن النمط الثقافى فى هذه المنطقة منذ أيام الفراعنة هو ما عندنا الآن. فالظروف واحدة وتكاد تكون الفروق بين أقطارها وشعوبها فروق فى نوع اللغة، لكن لغتهم (يقصد لغة المصريين القدماء) واللغة العربية أساسها واحد. هكذا قرأت عند المختصين فى المصريات. المهم أن الوسط العربى هذا أمره عجيب لأنه جمع بين الطرفين السابقين وخاصة بعد ظهور الإسلام. فالعربى يستطيع أن يكون متصوفًا من الطبقة الأولى، وعالم رياضة من الطبقة الأولى فى نفس الوقت. واللغة العربية نفسها عندما ندقق فى كثير جداً من مفرداتها نجد أن المفرد الواحد يكون اسمًا لشىء ويحمل فى طياته القيمة الأخلاقية التى تتناسب مع المجال الذى يستخدم فيه هذا الإسم؛ على سبيل المثال: عندما تقول أمة. ما هى الأمة؟! إنهم مجموعة من الناس تآلفوا كما لو كانوا أبناء أم واحدة ! وعلى ذلك فالتعامل بينهم يجب أن يكون كالتعامل بين الأخوة. إن المبدأ الخلقى يوضع فى الإسم ! . كلمة جار : من هو الجار؟! إنه هو الذى يجير من يستجيره من جيرانه . إن الاسم جار وضعت فيه القيمة الأخلاقية التى ينبغى أن يتعامل بها الجار مع جاره . كلمة صديق:

وضعت القيمة الأخلاقية فى الكلمة حيث ينبغى أن تكون العلاقة بين الصديقين قائمة على الصدق بحيث لا يخدع أحداً منهما أحداً .

هذا التقابل : فى الكلمة الواحدة وفى العبارة الواحدة بين القيمة الأخلاقية من ناحية وبين التسمية لأشياء معينة من ناحية أخرى توضح لنا كيف اندمج الفكر الدينى والفكر العلمى .

لقد وجدنا النوابغ فى كلا الطرفين المتقابلين (الغرب والشرق الأقصى)، وجدنا أن هذا الدمج غير موجود لا عند الغربيين ولا عند الشرق الأقصى.

أما نحن ، فقد ترجمنا فلسفة اليونان بأسرها ، بمنطقها وعلومهم بأسرها. أما الهند فلم تفعل. لماذا لم يترجم الهنود فكر اليونان؟! لماذا لم يترجموا فلسفة اليونان بينما ترجمناها نحن؟! لأننا نملك معدة تهضم العلم وتهضم المعقولات وتهضم منطق العقل، وهم ليس عندهم ذلك! وبالطبع كان ذلك هو الشيء التقليدى السائد فى الماضى ، أما الآن فالأمر اختلف وأصبح العالم أسرة واحدة وإن بقت أصول الشعوب تختلف من شعب إلى آخر .

المهم يا دكتور حسن أنا لم أدرج العرب وتراثهم فى طرف آخر مقابل الطرف اليونانى . فنحن ترجمنا فكرهم وعلومهم . بل أننا لو نظرنا نظرة فاحصة إلى القرون الثلاثة الأولى بعد ظهور الإسلام لوجدنا مسألة

واضحة جداً؛ فالقرن الأول الهجرى نزل فيه الوحى. ولم تمض ستون أو سبعون سنة من هذا القرن حتى بدأت بشائر القرن الثانى الهجرى وما زخر به من علوم، علم اللغة (سيبويه والخليل بن أحمد والكسائى وغيرهم) ، فقه وحديث، وتحقيق حديث، تفسير قرآن - علم الكلام الذى يأخذ مفردات من القرآن تريد التحليل وتحللها، هذا هو القرن الثانى: تحليلات علمية لمادة قرآنية - إسلامية إنه تحليل منطقى لما ورد. أما فى القرن الثالث فقد كانت الترجمة؛ ترجمة الثقافات المجاورة ، ثقافات اليونان ، الفرس، الهند.

ومن هذا نجد أنه قد أصبح أمامنا قناتين؛ قناة القرن الثانى وهى عبارة عن دراسات دينية ولغوية محلية . وقناة القرن الثالث الهجرى وجاءت بالثقافات المجاورة . وجاء القرن الرابع ليمثل الذروة بالنسبة للثقافة العربية، حيث نجد فى القرن الرابع وبداية القرن الخامس، نجد الصيغة الثقافية الجديدة التى ولدت وفيها الجانبين معًا كما لو كانت القناتان صبّت المادة فى القرن الرابع، فتلاقت الدراسات الدينية واللغوية مع ما قد جاءهم من فلسفة اليونان وعلومهم أو من تصوف الفرس أو من غيرهم ، فوجدنا صيغة جديدة جداً.

فعندما نأخذ على سبيل المثال شاعراً مثل أبو العلاء المعرى: من الذى يشبهه فى القرن الثانى أو الثالث أو فى ما قبل الإسلام؟! من

الذين يشبهه فى هذه الصيغة الجديدة التى نجدها فى شعره!! ليس له شبيه فيمن سبقه من العرب، ولا فى الطرف الغربى اليونانى . وكذلك ليس له شبيه فى طرف الشرق الأقصى .

وقل مثل هذا على عبد القاهر الجرجانى فى النقد، فما قاله فى النقد لا يقوله إلا واحد من المعاصرين الآن من الإنجليز أو من الأمريكيين ، إن ما قاله فى كتاب «أسرار البلاغة» أو فى «سر تفسير بلاغة القرآن» ، وتحليلاته لماهية الجملة البليغة تحليلات تشبه كثيراً جداً ما يقوله نقاد اليوم فى أوربا لأنه ارتكز فيها على ترتيب الألفاظ وهو يسميها نظم المفردات . هذا التركيز على ترتيب المفردات بحيث تتناسب مع الخطوات التى يخطوها العقل عندما يفكر. هذه هى البلاغة!

أما رسائل إخوان الصفا ، فهى موسوعة علمية ضمت كل ما عرفته الحضارات والثقافات القديمة من علوم : رياضية ، طبيعية ، شرعية .. إلخ . إننا لو انتبهنا إلى هذه الموسوعة العجيبة ، وإلى سعة الأفق التى أبداها إخوان الصفا لوجدنا أنهم منذ المجلد الأول يبشرون ويدافعون عن هدم الحواجز بين الديانات ؛ فلكلٍ دينه . ولكن فى نهاية الأمر تتلاقى هذه الديانات فى كون واحد عظيم .

إذن أنا لم أقل ذلك يا دكتور حسن عن الثقافة العربية، فالثقافة العربية قد شغلت اهتمامى وحللت أشياء كثيرة جداً فيها من منطلق أنها

ثقافة واحدة متميزة. وأنا لا أستطيع أن أقول أنها ثقافة غير علمية أو غير منطقية؛ وكيف أقول ذلك وقد كان من شروط المثقف العربى أن يكون عالمًا بالنحو والمنطق؟! فقد كان من لا يعرف النحو ومن لا يعرف المنطق فى التراث العربى – الإسلامى ومهما كانت معارفه الأخرى يعد خارجًا عن ساحة الثقافة. لقد تحكم منطق العقل فى العربى وفى كل تفكيره . وقد كانت براعتهم فى الرياضيات وجهًا من وجوه ذلك . وقد كانت تلك البراعة فى الرياضيات مشهورة لهم من خلال ما أنتجوه فيها .

السؤال الثانى:

أنا سعيد جدًا أولاً بالفرصة التى أتيحت لنا للقاء الأستاذ الكبير الدكتور زكى نجيب محمود، وسعيد جدًا ثانيًا لأن وزارة الثقافة ولأن مصر الآن تستطيع أن تبدى مثل هذا الإهتمام بالفكر ورجال الفكر . وبعد ذلك سعيد بالرد الذى قاله د. زكى الآن فيما يخص العرب وإن كنت أريد أن أسأله عن تاريخ ذكره : القرن السادس عشر . وأنا متأكد من أنه قرأ ما صدر عن جامعة اكسفورد وخاصة كتاب رسائل لفيلسوف بريطانى كان من أساتذة فرنسيس بيكون وهو أديلار أوف باص الذى كتب فى القرن الثانى عشر رسائل إلى ابن أخته فى اكسفورد يخبره فيها أنه قد ضاق ذرعًا بالطريقة التى كان يدرس بها الأساتذة فى جامعة أكسفورد فقد كانوا كما يقول د. زكى نجيب محمود يحفظون نصًا ثم

يحاولون أن يستخرجوا منه ما يستخرجون من نتائج، ولا يتحولون عن النظر فى النص؛ يقدسونه ولا يرون أن هناك نصاً سواه . لقد ضاق ذرعاً بذلك فعبر فرنسا إلى طليطلة . وهناك التقى بالعلم العربى الذى كان ينتجه العرب من المسلمين والنصارى واليهود. التقى بهذا العلم العربى فوجد أن العالم فيه يحلل النص ويقبله ويرفضه مهما كان مصدره. وجد أن القارئ يبدأ بقراءة النص ، ثم يرفضه ثم يستخرج منه نصوصاً أخرى أو نتائج أخرى قد تكون مضادة للنص الأصلى .. إلخ .

وقد فتن أديلار أوف باص بهذا العلم واستهواه إلى حد أن جعله يعبر إلى المغرب وحتى إلى مصر . ورأى فيها وقابل علماء كان أهم ما يهمه من علمهم أنهم لا يقبلون نصًا مقدسًا أبداً، وإنما كانوا يبدأون كما تقول الآن بالطريقة العلمية فى مناقشة النص ومعارضته بسواه .. وهذا هو ما شرحته سيادتك الآن فيما يخص تقسيمك للثقافات .. لكن ذلك بدأ فى الغرب من القرن الثانى عشر ..

الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود :

إن أديلار يعتبر فى تاريخ الفكر الأوربى من بشائر النهضة، أو بشير سابق على النهضة لأنه بدأ بأشياء من هذا النوع .

أما ما لاحظه عند العرب، فلا يخلو مما قلته أنا ؛ لأنه فيما يتعلق بمسألة النصوص، إذا كان لا يقبل النص إلا بعدما يقارنه بنص آخر فما



يزال هو فى دنيا النصوص. إنه لم يخرج بعد إلى الطبيعة إلى الكون!! فالمقابل هو أن ينظر إلى الضوء مثلاً فيصل إلى قوانينه، أو ينظر إلى الجاذبية ويصل إلى قوانينها كما حدث فى أوربا فى عصر النهضة .

السؤال الثالث: أ. د مراد وهبة (أستاذ الفلسفة بكلية التربية - جامعة عين شمس):

لو سمحت لى يا دكتور زكى : فى الورقة الموزعة علينا وفيها محاور النقاش أنتقى مسألتين ؛ النخبة والجماهير ، والفلسفة والتراث.

وفيما يختص بالنخبة والجماهير، كنتُ من حوالى عشر سنوات قد نظمتُ مؤتمراً دوليًا فى الفلسفة عن «الفلسفة ورجل الشارع» . وأذكر أن سيادتك كتبت مقالاً مطولاً فى صحيفة «الأهرام» نقدت فيها هذا المؤتمر ، وألمحت إلى أن الفلسفة قد ذبحت فى هذا المؤتمر!! وأحب أن أنتهز الفرصة لأطلب من سيادتك مزيداً من التوضيح حول عملية الذبح هذه؟!

الأستاذ الدكتور. زكى نجيب محمود :

يا أخى أنا أنظر إلى الفلسفة نظرة جادة تعطيها حقيقتها العلمية كما وردت على أيدى الفلاسفة الكبار ، لأن كلمة فلسفة لسوء الحظ يستخدمها كل من يستخدمها ولكن لا يقصد معناها الحرفى المهنى . ما معناها المهنى؟!

معناها المهنى عبر عنه أرسطو فى جملة قصيرة ولكنها بعيدة المعنى جداً، وهى أنها دفع الموقف المراد تفسيره إلى علله البعيدة الأولى . لماذا قال : البعيدة؟! لأن العلل القريبة هى مجال عمل العلم . فلو أن عندى ظاهرة ما فالخطوة الأولى فى بحثى حولها هى أن أصل إلى قوانينها العلمية . ثم عندما تتراكم أمامى القوانين العلمية والعلوم ، أنظر فى هذه العلوم لأحللها وأجد نقطة التلاقى بينها فأصل إلى المبدأ الفلسفى .

هذه هى الفلسفة . أما ما حدث أيام مؤتمركم فقد كتبوا أنكم أحضرتم بائع بطاطا!! هل هذا كلام ؟! إن جمهور الناس مستعد جداً لإلتقاط مثل هذا الكلام ويتصور أنه صحيح وأن هذه هى الفلسفة! هل بائع البطاطا يمكن أن يقول كلامًا مثل الذى قاله أفلاطون أو أرسطو أو ابن سينا أو ابن رشد. وهل يمكنه أن يناقش قضايا عرضها ديكارت أو هيجل ؟!

هل بائع البطاطا يستطيع أن يقول كلامًا مثل هذا . كيف لكم أن «تبهدلوا» الناس بهذا الشكل! وكيف تسمحون لأنفسكم أن تجعلوا من الفلسفة وكأنها «ممسحة بلاط»!!

إن الفلسفة هى الخطوة الثالثة فى تدرجات المعرفة، فالخطوة الأولى أن تعيش الواقع بأن تعمل تاجراً أو مهندساً أو ما شابه وأن تعيش الحياة كما هى، أما الخطوة الأعلى فهى أن يحاول الإنسان بعد ذلك أن

يستقطب من هذا الواقع، واقع التجارة مثلاً فى البيع أو الشراء، يستقطب قوانينها فيتكون علم الاقتصاد. إن الخادمة فى البيت ، كل خادمة فى المنزل تعرف الحرارة، تعرف أنها إذا وضعت «الحلة» على النار فسيغلى الماء، لكن ما قانون هذا الغليان؟ إن الخطوة الثانية فوق مستوى الحياة الفعلية هى استخراج القوانين الضامة لهذه الظواهر، وهى القوانين العلمية. وإذا ما تكاملت القوانين العلمية وإلى جانبها الفنون والمنتجات الأدبية وغيرها، يأتى الفكر الفلسفى، يأتى الفيلسوف ليسأل : هل الواقع هو هذه الكثرة العلمية، أو أن هذه الكثرة هى الأخرى يمكن أن يضمها مبدأ واحد؟!

يبحث الفيلسوف وقد يجد هذا المبدأ. وكثيرون منهم فعلاً وجدوا هذا المبدأ من وجهة نظرهم . فارتفع من مستوى من العلوم والفنون والمنتجات الإبداعية ليضمها فى مبدأ واحد مثل مبدأ «المُثل» عند أفلاطون، أو مبدأ «الصورة» عند أرسطو .. أو .. أو ... إلخ .

تلك هى الدرجات الثلاث للمعرفة، وذلك هو الفيلسوف الذى دائماً ما يكون فى القمة التى تستقطب معارف الإنسان كلها فى أى عصر من العصور فى مبدأ واحد . إن الفيلسوف هو وحده الذى يملك تلك القدرة على استخراج هذا المبدأ وعلى تطبيقه فى مختلف ميادين العلوم والفنون فى العصر الذى يعيش فيه وليس بائع البطاطا!!

استطراد من د. مراد وهبة :

بالمناسبة يا د. زكى إن المؤتمر كان عنوانه باللغة الإنجليزية "Philosophy and Massman" ، والترجمة الدقيقة لهذا العنوان هى «الفلسفة وإنسان الجماهير» ، لكنها طرحت «رجل الشارع» من باب الجاذبية. أما إنسان الجماهير الـ Massman فهو إنتاج الثورة العلمية والتكنولوجية ، لأن الثورة العلمية والتكنولوجية أفرزت ظاهر الماس Mass منها مثلاً الماس ميديا، ماس كلشر Mass culture ، ماس سوسيتى Mass society . لقد وجدت أن الـ ماس مان أيضًا هو من نتاج الثورة العلمية والتكنولوجية لكن ليس بالمفهوم الشعبى. فالـ ماس مان اليوم لو لم يتمثل الثورة العلمية والتكنولوجية لا يمكن أن يشارك فى العملية الإنتاجية التى ألحيت عليها سيادتك فى نهاية حديثك.

لقد قصدت أنه جاء الأوان لكى يصبح الـ ماس مان هو التكنولوجى، لكن ليس على مستوى الجماهير الأمية، بل على مستوى الجماهير الواعية بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية . هنا ماذا يكون دور الفلسفة؟! هذا ما قصدته . أما ما أحدث الإثارة فربما يكون لفظ «رجل الشارع». أما بائع البطاطا فأنا لم أحضره بل أحضره بعض الصحفيين قائلين: أنت معك نصف المؤتمر وهم الفلاسفة، ونحن قد أتينا إليك بالنصف الثانى ألا وهو رجل الشارع، بائع البطاطا!! ومع ذلك



فحينما بدأنا نتناقش وجدت أن بائع البطاطا لا يختلف مع ما قلته سيادتك حول عجز مصر عن إنتاج العلم !؛ فهنا تتساوى النخبة مع رجل الشارع!!

الأستاذ الدكتور: زكي نجيب محمود :

وأنت تسألني عن : الـ ماس مان والفلسفة، الماس مان ليس له شأن بالفلسفة. إن الفلسفة – كما تعرف سيادتك فى كل تطبيقاتها عند كل فيلسوف وتغيرت الألوان وإن تغيرت اللغة والموضوعات – حفر تحت المفاهيم التى يستخدمها الناس . فالناس عادة ما يقفون عند المفاهيم . وكذلك العلم والعلماء ؛ فكل علم يأخذ مفهوماً أساسياً يفترضه ويبنى عليه العلم؛ فالرياضة مثلاً تفترض السلسلة العديدية ١ – ٢ – ٣ – ٤ فهذه السلسلة موجودة ولا يسأل عالم الرياضيات من أين جاءت؟! بل يبدأ منها باعتبارها محطة القيام بالنسبة له ويبنى عليها الرياضيات كلها.

أما فيلسوف الرياضيات فيأتى ليمشى فى الإتجاه المضاد. فيفكر فى النقطة التى أخذها عالم الرياضة افتراضًا وبنى عليها ، ليسأل : كيف جاءت إلى العقل؟! ومن أين جاءت هذه السلسلة العددية وأصبح لها قيمة؟!

ويرد على هذه الأسئلة ويحفر ويحفر حتى يصل إلى شيء لم يعد قابلاً للتحليل من وجهة نظره . من هنا جاءت نظرية رسل عن فئة الفئات Class of classes(٥) .

وقل هذا فى كل علم من العلوم . فـالماس مـان يسـتـخـدم علم وتكنولوجيا ابتداء من أنها موجودة . وبعد ذلك يدرب على حقائقها الواقعية . أما الفيلسوف فلا يعلو ليرى النتائج العملية ، وإنما ينزل ليرى جذور الشجرة أين هى؟! إنها مخفية تحت الأرض ، أما الباقى فهو ظاهر للناس الجذع والفروع والأوراق . الناس تكتفى بما يُرى من الشجرة . أما الفيلسوف فيحفر ليرى الجذور . الماس مان ليس مطلوبًا منه أن يحفر ويأتينا بالجذور لأنه لن يعرف، ولن يستطيع أن يفعل بها شيئًا!! أما الفيلسوف فيستطيع ولا أحد يجاريه فى ذلك لأنه هو القادر على أن يحول الفكر البشرى من عصر إلى عصر . إن العصر الفكرى يظل عصرًا واحدًا طالما القضية المعروضة الكبرى فى هذا العصر لم تحل بعد حتى لو ظل هذا العصر ممتدًا لألف سنة . إن الذى يحلها هم الفلاسفة . وحينما يكون الزمن قد مضى وحلت هذه القضية تنشأ قضية أخرى بعد تلك .. وهكذا . من يحل هذه القضايا، من الذى يقول أنها حلت ويثير القضايا الأخرى المحتاجة إلى حل حتى يمكن أن ينقلنا إلى عصر فكرى جديد. إنه الفكر الفلسفى، إنه الفيلسوف وليس «الصنايعية» أو المدرسين فى المدارس!! إن هؤلاء يدرسون المادة العلمية كما هى موجودة . لكن الآخر (الفيلسوف) يحفر ليرى الينبوع الأساسى الذى صدرت عنه هذه الكثرة العلمية أو الفنية أو غيرها مما يعيشه الناس. فإذا وجد أن هذا الينبوع قد نفد الغرض منه وأن كل هذا قد عاشه الناس ، يبدأ فى

كتاباته ينبه الناس إلى المشكلات الجديدة التى «تلهيهم» عن تلك المشكلة التى حلت ونفدت، وحلت أو نفدت ليس معناها أنها طرحت فى البحر، بل يعنى أنها أصبحت زاداً ثقافياً للناس يمكن أن يبنى عليها زاداً ثقافياً جديداً يكون فاتحة لعصر جديد .

إن هذه هى طبيعة مراحل الفكر البشرى ؛ ننتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى عندما يبطل السؤال، أو يصبح غير ذى قيمة السؤال المطروح للحل، ولكل عصر سؤاله الأساسى ، سؤاله الرئيسى الذى تتمحور وتتبلور حوله جهود العلماء والفلاسفة . إن الفيلسوف هو الذى يلملم الموجود فى القاع ليبين لنا هل مشكلة العصر لا تزال قائمة أم أنها حلت؟! وذلك حتى يمكنه تنبيهنا إلى مشكلات أخرى استجدت وتحتاج إلى حل ..

نحن نأخذ معنى الفلسفة ليس من «أمخاخنا» وإنما من الممارسات التى حدثت فعلاً؛ وإذا نظرنا إلى قائمة الفلاسفة لوجدنا أنهم جميعًا اتحدوا فى التكنيك الذى يمارسونه؛ وهو أن ثمة مشكلة فى هذا العصر وهو يتفاعل معها ويحاول حلها . إننى كثيراً جداً ما قلت وكثيراً ما كتبت أن تدريس الفلسفة فى بلدنا عقيم إلا إذا أخرجنا الطالب وهو يعلم تمام العلم لماذا قيل هذا الكلام من هذا الفيلسوف فى هذا العصر؟!

يعلم أن أفلاطون قال هذا الكلام ، وأن أرسطو قال هذا الكلام ، وكذلك ديكارت أو غيره في أى عصر قال هذا الكلام ليحل به إشكالاً قائماً فعلاً، وقد حل هذا الإشكال القائم .

إننا حينما لا نفعل ذلك وندرس للطالب الفلسفة بالشكل الذى ندرسها به الآن سيتساءل الطالب فى أعماقه : ما هذا الكلام ؟! وماذا أفعل فى حياتى؟! ولقد سئلت أنا شخصياً هذا السؤال مئات المرات من الطلاب، ما فائدة الفلسفة؟! وحينما كنت أضيق ممن يسألنى هذا السؤال ، أقول له : فائدتها أن تنجح فى الإمتحان!!

السؤال الرابع : أ. د. أبو الوفا التفتازانى (أستاذ الفلسفة والتصوف بأداب القاهرة):

أستاذى الدكتور زكى نجيب محمود لاشك أنك كنت رائداً لحركة التنوير؛ فحينما أرجع بذاكرتى إلى عام ١٩٤٨م حينما كنت طالبًا فى الفرقة الثانية بكلية الآداب – قسم الفلسفة . أتذكر أن إيمانك بالعلم وبمنهج العلم قد دفعنا فى ذلك الوقت إلى إعادة النظر فى كثير من مواقفنا الفكرية، دفعنا إلى التمييز بين أسلوب علمى وأسلوب أدبى؛ الأسلوب العلمى هو الذى يظهرنا على شىء من الأشياء أو التعبير بالماصدق[٦]، أما الأسلوب الأدبى فهو الذى يسلينا .

كل هذا قد حفظته عنك باعتبارى تلميذاً لك، واستفدت منه فى واقع حياتى وفى أبحاثى ودراساتى التى كانت تلتزم بالمنهجية الدقيقة التى علمتنا إياها. ومرت الأيام والتقينا فى جامعة الكويت وزاملتك فى فترة الكويت. وهناك بدأت ألحظ تحولاً طرأ على فكرك وهو التحول الذى أشار إليه د. حسن حنفى حيث كنت مشغولاً فى ذلك الوقت بإعداد كتابك عن تجديد الفكر العربى. وسررت غاية السرور بأنك قد بدأت تطبق نظرياتك المنهجية فى مجال التراث العربى . وكنت ألاحظ أن اهتمامك بهذا الأمر كان اهتماماً غير عادى. والسؤال الآن : ترى هل تظل نظرتك إلى التراث كما هى الآن بعد مرور عشرين سنة تقريباً على صدور الكتاب؟! هل لازلت تؤمن بأن التراث يمكن أن نفيد منه خصوصًا وأننى قرأت لك أيضًا فى أحد كتبك أنك معجب بمنهج المعتزلة العقلى، وقلت بالنص أننا لو أفرغنا هذا الكلام الذى قال به المعتزلة من مضامينه لبقيت الصورة العقلية التى تعتد بالعقل. فأنا أريد أن أسأل سيادتك : هل يا ترى نظرتك إلى التراث العربى هى كما عبرت عنها فى «تجديد الفكر العربى»؟!

الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود :

أنا يا دكتور تفتازانى حقيقة لم أتغير أبداً. إنما الذى تغير هو ساحة التطبيق. ففى الخمسينات أنا لم أكن أطبق لأنى ركزت على أن أبين



الطرق التحليلية التى توضح للإنسان إن كانت هذه الجملة تصلح أن تكون علمًا أم لا تصلح. وكان هذا تمهيدًا لتحليل الكثير جدًا من العبارات والجمل التى يستخدمها المسئولون فى مجالات المسئولية المختلفة . فهى جمل «كلام فارغ» لا تؤدى إلى شىء!! فهى لا معنى لها!! كان هذا همى عندئذ .

وكل ما حدث بعد ذلك هو أننى طبقت هذا النوع من التحليل على التراث. وفى ذلك لم أتغير. فمثلى كمثل واحد يعرف عملية العدّ . فهو اليوم يعد برتقالاً ، وغدًا يعد كمثرى. إنه لم يغير إلا مجال التطبيق على ما يعده!

إن كل ما اختلفت فيه عن الآخرين فيما يتعلق بتناول التراث، وقد كتبت فى ذلك الكثير من الكتب والمقالات ولم أتوقف عن ذلك أبدًا حتى تتضح الصورة، كل ما اختلفت فيه عن الآخرين هو أننى اعتبرت أن التراث يكون نقطة بدء لا نقطة نهاية . وقد جعلت هذا أحد العناوين «التراث كنقطة بدء لا نقطة نهاية»؛ يعنى ينبغى أن أبدأ الخوض فى المجال الثقافى الحق فى هذا العصر بعد أن أكون قد ألممت بما يعطينى شخصيتى العربية - المصرية - المسلمة . فهذه آخذها من التراث لأنطلق بعد ذلك من هذه الهوية المصرية - العربية المسلمة لأسير فأرى ما يسير به العصر وما يعززه!

إذن يكون التـراث خطوة أولى لا بد منهـا ، وليس التـراث ككتلة فنحن نخطئ إذا تصورنا أن التراث محدود، فهو دنيا بأكملها . وكل واحد منا له اهتمـامـاته الخـاصـة فى حيـاته العـمليـة . وحسب هذه الإهتمـامات خذ من التراث ما يغذيك وما يتفق مع مجالك العملى فليس كل واحد منا مسئولاً عن التـراث كله فـقـد درجنا فى حديثنا العادى على أن تختصر «المعقد» ونقول «التراث» وكأن التراث كتاب واحد أو عشرة كتب أو حتى دولاب كتب. أبداً.

نحن نعمل بالفلسفة مثلاً، إذن يصبح من واجبنا أن نكون على صلة بالفلاسفة المسلمين، لننظر كيف تعاملوا مع ما جاءهم من بلاد اليونان. واليونان عندئذ كانت هى أوربا . هم جاءهم من اليونان وأنا اليوم أتلقى العلوم من أمريكا وأوربا . إذن الموقف واحد. ومن ثم يجب أن أقف إزاءه مثل ما وقف ابن سينا وابن رشد؛ لقد جاءته فلسفة من اليونان فلم يرفضها ، بل أخذها وجعلها ركيزة من ركيزتين يقيم عليهما حياته العقلية . فأنا يجب أن أتأثر بالتراث فى أن أصنع صنيع هؤلاء الفلاسفة وليس فى أن أحاكيهم ؛ أصنع صنيعهم ، أفعل مثلما فعلوا فهم قد جاءتهم فلسفة فقالوا : كيف أوفق بين الفلسفة والدين ، بين الفلسفة والشريعة؟! لقد كان هذا هو المحيط الذى عاشوا فيه .

أما أنا فقد جاءنى هذا العصر بعلوم ، فيكون موقفى المساوى لموقف السلف ، لموقف الوالد العربى القديم . يكون موقفى مساوى له تمامًا حين أخذ هذا الوافد علمًا وتكنولوجيا و.. و.. إلخ . وأسأل : كيف أوفق بين هذا وبين ما عندى من أخلاقيات الدين أو حقيقة الدين .. أو غير ذلك. ففى الواقع ، الموقف واحد فى كيف أهضم هذا الآتى من الآخر. أما كونى آخذه. فلا بد أننى سآخذه وإلا فإننى سأكون متجهًا إلى الإنتحار!! لا بد أن نأخذ ما بالعصر وإلا انتحرنا !! وكل ما على أن أطعم به الطرف الثانى الذى يجعلنى مصريًا - عربيًا - مسلمًا .

السؤال الخامس:

سيدى الأستاذ .. أسعد الله مساءك أولاً ومتعك بالصحة . لدى سؤال : فى الشهور القليلة الأخيرة كتب كاتب أمريكى من أصل يابانى اسمه فرنسيس فوكوياما مقالاً أسماه نهاية التاريخ . وبعد ذلك نشر هذا المقال فى كتاب كبير يحمل نفس العنوان. فى هذا المقال أستشهد بسقوط الشيوعية ثم سقوط الإتحاد السوفيتى كدولة كبرى على أن هذا هو نهاية التاريخ كما نعرفه. وأن الصراع بين الحضارات قد حسم بصورة نهائية لصالح الغرب الذى تمثله الرأسمالية والديمقراطية والحرية وهى العناصر الثلاثة التى تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة .

قد لا يهمنا كثيراً إن كان هذا هو نهاية التاريخ أو بداية لتاريخ جديد. وإنما الذى يهمنا هو أنه أشار إلى الإسلام فى اطار حديثه عن صراع الحضارات . وقال إن الدول الإسلامية أو الفكر الإسلامى تأخر وهو فى حالة صراع دائم مع الحضارة الغربية . وقد مر بتجارب ثلاث ؛ الأولى فى عهد الدولة العثمانية وفشلت . والثانية فى المشروع المصرى القومى فى الخمسينات وفشلت هى الأخرى . والآن يمر بتجربة ثالثة هى تجربة الدولة الإسلامية فى إيران ومآلها أيضًا - كما قال هو - إلى الفشل لأنها فى النهاية ستتحول إلى فكر شبه فاشيستى أو فكر دينى متعصب . وهو يقول بعد ذلك : أن على الدول الإسلامية أن تفكر إما أن تلحق بركب الحضارة الغربية أو أن تسقط!

وأسأل سيادتكم : هل نحن فعلاً بإزاء نهاية للتاريخ كما نعرفه!! نهاية تحسم الصراع الحضارى تمامًا لصالح الحضارة الغربية؟ وهل لدينا ما نستطيع أن نقف به أمام الحضارة الغربية بما نُمازج فيه بين التراث وبين المعاصرة؟!

الأستاذ الدكتور: زكى نجيب محمود :

الحقيقة التى أود أن أبدأ بها الرد على سؤالك هى أنه لا يعجبنى أبداً أن نقف موقف العدو، لنقول نحن وهم . هم من ؟! هم أصحاب العصر! وأنا صاحب العصر أيضًا !! إن اللحظة التى نقول فيها نحن

وهم أكون قد أخرجت نفسى من العصر قبل أن تخرجنى الظروف من الحياة ..

وأود أن أؤكد على نقطتين :

١ - لا بد أن يستقر فى عقولنا تمامًا أن هذا العصر عصرنا كما هو عصرهم فليس من الطبيعى أن يملكوه وأظل أنا واقف عند الباب!

٢ - أما عن مسألة نهاية التاريخ ودور الإسلام وهل يمكن أن ينهض . فأنا أقول بمنتهى الصراحة أنه إذا كانت العقلية السائدة للإسلام (يقصد الفهم الخاطئ للإسلام كما يسود عند كثيرين الآن فى العالم الإسلامى) هى ما هى وستدوم، فلا أمل! إنما إذا نُظر إلى الإسلام من حيث هو عقيدة قبل أن ينظر إليه من حيث هو شريعة ، فإن العقيدة الإسلامية وصلت إلى أرقى ما يرقى إليه العقل البشرى من حيث الهدف وهو «التوحيد» .

التوحيد لا بد أن أفهمه حق الفهم لكى أرى كيف ستتولد منه المعانى التى تجعله أصلح فكرة لتدوم إلى الأبد ، إلى أبد الآبدين حتى إذا كانت ملايين السنين .

التوحيد لكى أفهمه هو توحيد الله أى جعله واحدًا، هذا صحيح . ولكن لا بد أن نضيف إلى الواحدية الآحدية أيضًا . فالله واحد أحد ﴿قل هو الله أحد﴾ . فهناك اختلاف فى المعنى : الأحدية .. هذا الواحد



الذى لا ثانى له، ليس فى جوهره صراع بين اتجاهات مختلفة . هنا نجد الإنسجام فى المضمون.

وفكرة الواحدية والأحدية يستعملها مفكرون كثيرون جداً فى الغرب ويجعلون منها شرطاً للهوية ، فإذا كان لك واحدية وأحدية Unity and continiuty تكون موحداً فى اللحظة المعينة، على أن هذا التوحد فى اللحظة المعينة يظل مستمراً معك إلى آخر الحياة . فإذا ظفرت بهذين الأمرين (واحداً ودائم التوحد) إلى أن تموت تكون قد فهمت هويتك جيداً .

وهذا بالنسبة لعقيدتنا أيضًا، فالواحدية والآحدية لله سبحانه وتعالى مفهومه فهو واحد وهو أحد فى تكوينه إذا كان له تكوين أستغفر الله. إن الله وإلى أبد الأبدين Unity and continiuty . فالهوية إذا صح التعبير لا تتغير فى هذه الحالة . أما بالنسبة للإنسان فإنه هو الذى سيعتقد فى التوحيد . وعقيدته فى التوحيد فى نظرى هى الترمومتر الذى يقاس به مدى إيمانه؛ كم من معنى التوحيد استطاع أن يعيشه ؟! فأنت تقول «أشهد أن لا إله إلا الله» . هذه الشهادة يكون لها معناها فقط إذا استطعت أن تعيشها أنت .

إن عقيدة التوحيد تستوجب من المعتقد أن يوحد نفسه ، يعنى أن يزيل منها الصراعات ؛ فأنا كإنسان عندى غرائز وعندى عقل، الغرائز

تريد أشياء معينة، والعقل يريد أشياءً أخرى. وسيحدث الصراع بين مطالب العقل ومطالب الغريزة ما لم تنجح فى إزالته وما لم توحد بين عقلك وغرائزك . لا أقول تقتلع الغرائز بل انظر كيف تسير نحو هدف بفكرة العقل. بهذا تتوحد أنت، وتفهم ماذا يعنى قولك أشهد بأن الله واحد أحد .

ففى الحياة الثقافية ستجد التوحيد أمامك فى كل خطوة تخطوها وأنت تفهم حياتك العملية وحياتك الفنية وحياتك الأدبية .. إلخ . إنه بمقدار ما استطعت أن تعيش التوحيد الموحدفى نفسك وفهمته على أرض الحياة وعلى الحياة الفعلية عندك ستجد الفنون ، كل الفنون عن بكرة أبيها لن يفهمها فاهم حق الفهم إلا إذا رأى فيها التوحد . يعنى اللوحة لا بد أن أرى فيها توحد؛ فاللوحة فيها خطوط وألوان وفراغات وامتلاء .. إلخ ما الذى يجعلها صورة واحدة؟!

لا بد أن أُدرب فنيّا على أن أدرك أين تكون الوحدة التى هو «الفورم Form» أى الشكل الفنى ، وهذا هو الشكل الفنى .

إن المسلم لو كان مسلماً حقاً بمعنى عاش عقيدته ولم يكتف بنطقها ، فالنطق بإمكان البغبغان ، فالبغبغان قادر على أن يحفظ أشهد أن لا إله إلا الله . فهل معنى ذلك أنه أصبح مسلماً!!



إن المسلم ينبغى أن يعيش عقيدته فى دنيا الفن ، دنيا الأدب، دنيا السياسة دنيا الوطنية؛ فعندما نقول الأمة، الأمة واحدة نحن لا نعيش ذلك وكل منافى صراع مع الآخرين مع أننا أولى الناس بأن نتوحد ، توحد الأمة. فلولا ذلك ما سميت أمة. إننا أبناء أسرة واحدة لكننى يجب أن أعيش هذه الحقيقة وأن لا يفلت منى المعنى العميق الذى أنا مسلم به.

إذن فحينما نقول : الإسلام ! أى إسلام ! فالإسلام الحقيقى هو كما أقول أنا. وليس الكلمة التى تقال بطرف اللسان . وإنما الكلمة التى أقولها لتجرى فى شراايينى وتكون كيانى وعند ذلك سأكون شخصًا آخرًا بالمرة .

فالإسلام كان يمكن أن يكون فيه الأمل - ردًا على هذا الأمريكى - اليابانى - فى حمل الحضارة فى مرحلتها الآتية لو كان إسلامًا بالمعنى الحقيقى.

لكن هذا إسلام ، ذلك الإسلام الذى يصلى فيه المرء باللسان دون أن يتوقف المصلى عند كلمةواحدة مما يقوله؟!

خذ مثلاً : الله أكبر، نحن نكررها آلاف المرات فى اليوم الواحد. إفهم معناها وأنت تجد نفسك فى دنيا أخرى. دنيا أخرى عند تقديرك للأشياء والأشخاص.. إنك حينما تعرف المعنى المقصود من «الله أكبر»

ستعرف أن هذه الأشياء زائلة، الأفراد زائلون .. كل زائل لا يدوم، هو فى مرحلة بين الوجود والعدم. فكل شىء موجود معدوم فى وقت واحد. لكن الموجود الحقيقى هو الذى لا يعدم. هو الله تعالى، هو الله أكبر. تعلق بهذا المعنى، تعلق بما يدوم وانظر كيف ستتغير حياتك؟!

إن المهم فى الحياة هو ما يدوم، فما هو الذى يدوم، هل هو المال؟! هل حدث ذلك فى التاريخ كله! المعنى كتاب تاريخ واحد يقع عليه الإنسان ويجد فيه أن مؤرخاً قال بأن أحد الخالدين كان خلوده بسبب ما يملكه من مال!! وبالطبع أنا لا أملك تفسيراً لسرعة ظاهرة زوال أصحاب المال! لكننى أعتقد أن الإنسان لابد أن يبحث عما يدوم. والإنسان تدوم حقيقته فى الوجود بقدر ما فعله مما يدوم؛ أنتج ما يدوم، أنجب أبناء والأبناء أنجبوا أبناء وإذا كانوا من الأبناء الصالحين يكون الإنسان قد ترك شيئاً يدوم.. إلخ.

إننى أتحفظ على القول بأن الإسلام يصلح أو لا يصلح إلا بعد أن نفهم ماذا نعنى به؟! أنا أعتقد عقيده قد أكون مخطئ فيها ألا وهى أنه لا يجب أن نعتبر أن الأساس فى بناء الإسلام للحضارة هو الشريعة؛ فالإسلام كما يقال عقيدة وشريعة . والشريعة فرعان : العبادات والمعاملات بمعنى أننى سأعبد الله وأتعامل مع الناس وفق ما يطلب منى. ولكن ليس هذا هو الجوهر. وليس هذا هو الذى تقام عليه الحضارة

الجـديدة. إذ مـا دخل الحـضـارة الجـديدة فى من تزوج واحـدة أو تزوج أربعة؟! ما دخل الحضارة الجديدة فى أن الصلاة ركعتان فى الصبح، وأربع ركعات للظهر؟! الحضارة لا دخل لها بذلك. فهذه ضرورات شعائرية على المسلم القيام بها دون أن يكون لها تأثير فى مسألة الدوام الحضارى!!

لكن الذى له تأثير حقاً فى الدوام الحضارى هو العقيدة الإسلامية، عقيدة التوحيد. هذا هو ردى على ذلك اليابانى. وفى نفس الوقت فإنى يائس من أن يحمل العالم الإسلامى عبء الحضارة الجديدة! فمن يقولون: دولة إسلامية مثلا لا يفهمون ماذا يقولون! كيف تكون الدولة الإسلامية؟! ما معناها؟!

فلنرجع مرة أخرى للكلام العملى: إن الإنسان كان فى القرون السابقة كلها يظن أنه من حيث الصواب والخطأ هناك ثلاث حالات؛ فحينما تقول جملة معينة فهى إما صحيحة وإما خاطئة، وإما لا أدرى هل هى صحيحة أم خاطئة.

هذه هى الحالات الثلاث المعروفة منذ منطق أرسطو. لكن أضيف إليهم حديثًا، فى التحليل اللغوى حالة رابعة هى «لا معنى لها»!!؛ لأنه إذا كانت العبارة صحيحة أو غير صحيحة أو لا أدرى هل هى صحيحة أم خاطئة. إذا كانت واحدة من هذه الحالات الثلاث فهى عبارة يشترط



أن يكون هناك معنى تشير إليه فى دنيا الواقع إما موجود فعلاً أو موجود افتراضا. هذه الحالات الثلاث ممكنة لأنهم قائمين على أساس الوجود الفعلى أو الوجود المفترض الذى يمكن أن يكون. أما إذا كان هناك فى تركيبة أخرى لا يمكن التيقن منها منطقياً ولا إجرائياً. فهذه تكون داخله ضمن الحالة الرابعة التى غفل عنها الناس طيلة عشرين قرنا من التفكير المنطقى...

كثيرون جداً من الناس يتكلمون فى مجردات ويظن أنه يتكلم فى واقع، وهو يتكلم فى هواء، فى دخان بعبارات من النوع الرابع، تلك التى لا نستطيع أن نقول: هل هى صحيحة؟! لا. هل هى خطأ!! لا . لا نستطيع أن نعرف. ولذلك فهو كلام «رغى»!! «رغى فقط»!!

فالذين يقولون إن الإسلام دولة أرجو أن يقولوا لى كيف توصف الدولة بالإسلام؟! الإسلام عقيدة. أعتقد أنا أن الله واحد. أما الدولة: فهل تعتقد أن الله واحد؟! كيف تحقق الشروط الأساسية والأركان الأربعة للإسلام فى دولة؟! هذه أشياء لا يعملها إلا الفرد. ولذلك يُحاسب عليها ويفهم معناها على أساس أن فرداً يؤديها! ولذلك فالمسلم فرد. فحينما قلت أشهد أن لا إله إلا الله قلتها بضمير المتكلم المفرد وليس الجمع. وهذا مما يدل - كما قلت أنا فى موضع ما - أنه ابتداء من أول طرف، فى أول كلمة، فى أول ركن من أركان الإسلام شهادة بأن المسئول هو فرد؛ أشهد أنا حتى لو لم تشهد الدنيا بأسرها!

إن هذه كلها دلالات على أن المحور فى العقيدة الإسلامية هو الفرد.. الفرد هو الذى يعتقد.. الفرد هو الذى يسلم أو لا يسلم وليس الدولة.. أين هى الدولة التى تكون مسلمة أو غير مسلمة؟! كيف تشهد أن لا إله إلا الله، وتصوم وتحج.. إلخ. كيف تفعل ذلك كدولة، أين طريقة ذلك وما معناها؟!!

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كلمة «دولة» نفسها من دال يدول يزول!! خذ الإسلام نفسه من أول ما نشأ إلى الآن.. وانظر كم نوع من أنواع الحكومات، وكم دولة. فهذا يكون خليفة، وذاك يصبح ملكاً، هذا يكون سلطاناً وذاك أمير، وآخر رئيس جمهورية.. كلها يقال عنها أنها دول إسلامية. من فيهم التى يمكن أن أقول عنها أنها مسلمة؟! إنها جميعًا دول ويتمثل فيها أنواع مختلفة من الحكومات. وأنا «أستغرب» حقيقة؛ هؤلاء يقولون ما يقولون لأنه ربما يكون وجودهم مرهون بهذا الذى يقولون، ومكسبهم المالى.. إلخ، هم يقولون كلامًا كثيراً جداً لأنهم يحصلون على المقابل المادى «الماهيات»!! ولا أكثر من ذلك!! وإلا إذا كان أحدهم يتكلم وهو مسئول حقًا عما يقول مسئولية خلقية فيجب عليه أن يسأل بدقة: هل هذا الكلام الذى يقوله له معنى؟! يقول: دولة أسلمت!! أى دولة هذه؟! وما معنى الدولة؟!

إن الدولة مجموعة أشخاص ليسوا معينين بالاسم. وكل واحد من هؤلاء الأشخاص يأتى ويذهب وتبقى الدولة. الدولة كوب فارغ ينتظر مرة أن يملأ بالماء، ومرة بالخل. وهكذا!! الدولة شبكة علاقات بين أطراف، والأطراف هم الأفراد، والأفراد تتغير وتبقى الدولة كنظام علاقى، علاقات تربط بين هؤلاء الأطراف. هذه هى الدولة. إنها ليست شخصاً يجلس على القهوة ويشرب الشاى!! ..

السؤال السادس: د. قدرية إسماعيل (أستاذ الفلسفة بتربية عين شمس) :

أستاذنا الكبير د.زكى نجيب محمود جاء فى حديث سيادتكم أننا حفظة علم ولسنا بمنتجى علم وكان هذا الحديث مركزاً على تشخيص حال مصر. وسؤالى الآن: لماذا نحن حفظة علم وعاجزون عن صناعته؟! وتعلم سيادتك أن من يمتلك العلم والتكنولوجيا يستطيع أن يسيطر على مصير البشرية، فهل عدم قدرتنا على صناعة العلم يرتبط بنسق القيم الذى تعيشه مصر، أم بظروف الحياة اليومية، أم بالنظام السياسى القائم أم أن الأمر يتعلق بنسق الثقافة، التقاليد والتراث أم ماذا؟! كيف يمكن أن نفسر ونحلل ذلك؟! وشكرا.

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

إن القرون الثلاثة التى سميتها القرون الوسطى بالنسبة لنا، السادس

عشر، السابع عشر والثامن عشر، فقدت مصر فيها طاقتها الإبداعية أيام الحكم التركى، لدرجة أنهم أفرغوا مصر حتى من عمالها الفنيين!! فقدت مصر طاقتها الإبداعية وأصبحت تحفظ العلم حفظًا، وجاءت أوروبا وطرقت علينا الأبواب أول القرن التاسع عشر ودخلت وذهبت. ولكن جاء محمد على ليستمر فى نفس الطريق.. اضطررنا أمام العلوم التى جاءت مع نابليون أن نقبل العلوم وأقمنا من أجل ذلك المدارس ابتداء من عصر محمد على. وبعد ذلك أقمنا المعاهد والجامعات لأننا أدركنا أن هذه العلوم لابد أن تعرف وتعلم ولم تكن معلومة لنا من قبل، فوجدنا أنفسنا أمام علوم جاهزة تأتينا فى كتب من الخارج.

هذا بند، أما البند الآخر، فقد وجدنا أنفسنا أمام منهج علمى انتقل إلينا من تلك القرون الثلاثة الحافظة، هذه القرون أثرت وخطت حاجز التدخل الأوربى بعلومه، فأصبح كل واحد فينا يحفظ علمه ولا يبدع فيه. أريد القول أن منهج الإبداع لدينا كان معطلاً، والموجود بدلاً منه كان منهج الحفظ؛ فالطالب يحفظ الطب، كما يحفظ طالب الأدب الشعر، كما يحفظ أى طالب دارس مادته حفظًا. وفى النهاية يحصل على الشهادة ويصبح هو نفسه مُعلمًا حافظًا.. إلخ.

نحن نريد الإبداع، لكن للإبداع منهجه. إننا نفرغ المادة من منهجها فى التعليم فنأخذها كمادة بدليل ما يباع فى السوق من كتب، إنها

كـتب تحـول المادة العلمـيـة إلى نقـاط ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . والمدرس الخصـوصى يحفّظ الطالب النقاط. وهذه النقاط ليس فيه أى منهج، فالمنهج كان يمكن أن يتضح من السياق الموجود فى الكتاب المفصل لو أن الطالب كان يقرأه!!

الطالب يحفظ هذه النقاط بلا رابط بينها، ويضع هذه النقاط فى ورقة الإجابة فى الامتحان ويحصل على الدرجة كاملة!! إن هذه الصور الهزلية موجودة فى حياتنا فى أعلى ذراها فى الجامعة!!

نحن طبعًا نريد أن نأخذ المسألة كاملة وليس هناك داع لأن نتملق أنفسنا، فالحكاية «شوية مذكرات» من قبل الأستاذ، و«شوية خربشة» من قبل الطالب يضع فيها أى شيء، والله أعلم المصحح يقرأ هذا أم لا ؟!

إذن من أين أخذ الطالب المادة العملية؟! فضلاً عن من أين يأخذ المنهج؟! ولأضرب المثل بنفسى، أنا أستاذ فلسفة، وأنا أقول أنه لا يصح أن يتخرج طالب الفلسفة ولا يعرف منهج الفكر الفلسفى! فالفكر الفلسفى منهج مستقل، وهو ذلك المنهج الذى قال به أرسطو، المنهج الذى أصل به إلى العلل البعيدة وليس العلل القريبة، فالعلل القريبة تصنع العلم، لكن العلل البعيدة تعمل على اكتشاف وحدة المعرفة، كيف؟! بالتحليل، فبالتحليل أصل إلى نقطة التلاقى.



ما لم يخرج طالب الفلسفة وقد درب أو لاحظ أو عرف أو تذوق المنهج الذى استخدمه الفيلسوف، وهو منهج مبثوث فى كل فلسفة صنعها فيلسوف! فمحاورات أفلاطون، كتابات أرسطو وغيرهما من الفلاسفة، كل كتاب كتبه فيلسوف فيه هذا الرد Reduction ، رد الكثرة إلى وحدة، إلى واحدية، والواحدية فى نهاية الأمر ليست الواحدية العلمية، لأن هناك ما فوق الواحدية العلمية.. وهكذا يكون التعليل، التعليل(*) ، إن المنهج العلمى لم يدخل قلوبنا ولا عقولنا بعد، نحن نحفظ . كلنا حفاظ، نأخذ الدرجات على الحفظ ونصبح أكبر أساتذة فى الدنيا! إذن ما ينقصنا بعد تعليم المادة، أن يتدرب الطالب على استخراج المنهج. والمنهج موجود فى أى كتاب علمى حتى إن كان فى التاريخ أو فى الجغرافيا أو فى النقد الأدبى... إلخ. إذ ستجد تسلسلا يبين أن هناك انتقالاً منطقياً من درجة إلى درجة وعلى المتعلم أن يلتقط ذلك.

وبالنسبة للفلسفة، أنا أقول واثقًا مما أقول أنه لو نسى الطالب كل ما درسه من أقوال الفلاسفة، فإنه لم يخسر شيئاً إذا خرج بمكسب واحد، وهو اكتساب منهج الفكر الفلسفى، المنهج الذى رآه مجسداً فيما درسه.

(*) يقصد تعليل الظاهرة التى كانت موضع السؤال، تعليل ظاهرة عجزنا عن إنتاج العلم.

هذا هو التعليل لظاهرة تخلفنا، التعليل أنه لم يدخل عقولنا المنهج العلمى اطلاقا. كلنا يحفظ على غرار ما حفظ علماء الأزهر الكتب التى بين أيديهم فأصبحوا علماء بهذا الحفظ!!

السؤال السابع:

هناك سؤالان؛ الأول أن الأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود قال أن الفلسفة تدور فى كل عصر حول سؤال. وهو فيلسوف العصر وتحدث إلينا عن فترات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات. فهل يستطيع الأستاذ الدكتور زكى أن يبلور لنا كمحبين للحكمة ما هو السؤال الذى شغله من وجهة نظره وكشاهد على العصر؛ ما هو السؤال الذى كان يدور فى ذهنه أو بين معاصريه فى الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات ... إلخ.

أما السؤال الثانى، فقد حدثنا د. زكى عن عصر النهضة فى أوروبا وعن قرون ثلاثة تخلفنا فيها. وكنا نتصور مع رواد الفكر فى مصر المعاصرة أننا فى تلك الحقبة فى بداية عصر نهضة مصرى - عربى - إسلامى، فإذا بنا كما قلتم ننتكس إلى منهج الحفظ وليس إلى منهج الإبداع . فما المخرج ؟!!

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

بالنسبة للسؤال الأول تسألنى عن السؤال المطروح للعصر كله. وهذه مسألة تحليل وقد نختلف فى تحليلاتنا. ولكن حسبما أرى أنا، فالسؤال يتعلق بالمصير، ما هو المصير؟! وهذا مرتبط بفكرة «التقدم» بالمعنى الإصطلاحى.

فنحن لكى نأخذ بفكرة التقدم كما يراد لها أن تكون، لابد أن نمتلئ بالإيمان بأن الحاضر أفضل من الماضى، وأن المستقبل سيكون أفضل من الحاضر والماضى معًا. لابد أن تكون عندى هذه العقيدة لأن الإنسان ظن لقرون طويلة مضت أن الماضى هو العصر الذهبى وكل ما جاء بعد ذلك انحدار! والذى يقول هذا الكلام لا يمكن أن يتقدم. فعصرنا هذا عصر فكرة التقدم أولاً، أى عصر الاهتمام بالمصير وليس الاهتمام بالماضى. إن سؤال العصر هو كيف أسرع إلى المصير؟! ما هو المصير وكيف أسرع إليه؟!

وهذه مسألة حينما تدقق فيها تجد أنها محور نشاط الدول النشيطة الغنية فى أوروبا وأمريكا. وذلك لأن كل فرد فيها يريد أن يقهر الطبيعة بالتكنولوچيا التى صنعها. وهو يسيطر على الطبيعة لكى يكون حرًا ففكرة الحرية فى عصرنا مرتبطة ارتباطًا شديدًا جدًا بأن أعرف قوانين الطبيعة.

نحن وقفنا فى فهمنا للحرية عند حد أننا طردنا المستعمر لا. إن طرد المستعمر تحرر وليس حرية. لقد تحررت من القيد، القيد الذى أحاط برجلى تخلصت منه لكننى لازلت أقف فى مكانى. إلى أين أتجــه لا أدرى؟!

إن هذا هو ما حدث فى كل البلاد التى استقلت، لقد أخذت كل البلاد الإفريقية التى كانت مستعمرة استقلالها، ومع ذلك فهى لا تزال عبدة لمن كان يستعمرها، لماذا؟! لأنه هو الذى لديه المعرفة والعلم. ونحن ليس لدينا.. نحن «نشحت» منه؛ اعطنى دبابات وطائرات، من فضلك اعطنى ثلاجات وأيضًا اعطنى الكتب والورق. إن الغرب لو أمسك عنا الورق فماذا نحن فاعلون؟! لن يكون هناك لا تعليم ولا جرائد ولا صحافة ولا غيره!! حتى أننا حينما نريد تصنيع الورق. فمعامل تصنيعه نأخذها منهم!!

إنهم يبدعون الحياة. ونحن نسأل الصدقة وأحيانًا نحصل عليها أو يرفضون اعطاءها لنا!! فكيف إذن أكون حرًا. إن الفكرة الأساسية مرتبطة ببعضها؛ إيمان بالتقدم فاهتمام بالمصير، وحرية فنظرة إلى الماضى جديدة تعتبر الماضى كما أقول نقطة بدء وليس نقطة نهاية.

أما عن سؤالك الثانى حول دخولنا عصر النهضة. نحن دخلنا فعلاً لكن هناك معوقات. فنحن بدأنا النهضة حقيقة من أيام محمد على

طالما فتحنا الباب لأوروبا وأرسلنا البعثات وقبلنا فكرة العلم. لكن ما حدث أننا لم نكمل التصور، لم نكمل الاهتمام بمنهج العلم. لقد مر قرنان من الزمان. والتقدم لايزال بطيئاً ولازلنا بلد متخلف. مازلنا بلد فى العالم الثالث! فماذا حدث وما هو الذى تسبب فى «تعطيلنا» ؟!

إننى اعتقد – ورزقى على الله – أن ما عطلنا وجود عوائق من أهمها أن الماضى ما يزال يشد كثرة الجماهير، لأن كثرة الجماهير لا يسيرها أنا أو أنت. إن الجماهير تأخذ معرفتها عن أناس آخرين لهم ثقافة تجد قبولاً عند الريفى وعند العامل وعند الرجل البسيط عموماً. إنها الثقافة الدينية، والدين «على عينا وراسنا» لكن حينما أفهمه على أنه قوة دافعة ولا أفهمه على أنه مجرد جلسة تفسير قرآن!

لأنه ينبغى أن أسأل وماذا بعد التفسير، إننى لابد أن أكمل هذا الذى فسرته بخطوة تنفيذ. بخطوات عمل!! لكنى أتغنى به. وماذا ينفعنى إذا ظللت أتغنى بالقرآن؟! وماذا ينفعك إذا ظللت تتغنى به؟! المهم أن تعمل به، أن تدخله فى دنيا التنفيذ. خذ المبادئ منه وانطلق منها إلى الدنيا لتعيشها. نحن لا نفعل ذلك نأخذ القرآن ونحن قاعدون فى مكاننا بالمعنى المرضى. نحن قاعدون جميعاً نسمع تفسير القرآن!!

والجماهير يحركها هؤلاء الحفظة، ولا أحد يعطيهم بصيصاً من النور، لا أحد يقول لهم أن القرآن نزل لكى يخطط لك كيف تفعل وليس

لتحفظ تفسيره!! فماذا أفعل بالتفسير إذا حفظته «وسكت» عند هذا الحد!!

إن الطبيب (الحكيم) إذا أعطانى «روشتة» علاج، فهل أحفظها وأحتفظ بها وأنام أم أذهب إلى الصيدلية وأحضر ما فيها وأعمل به!

هناك نوعان من الثقافة من حيث الحركة والسكون؛ هناك ثقافة تحرك وهناك ثقافة سكون، ونوع اللغة ونوع التفكير يختلف فى الحالتين.

نحن لسوء الحظ أميل إلى ثقافة السكون، فالجماهير ومن يعلمهم ومن يسمعونهم أصواتهم، كلٌ يسمع ويُعجب بالذى يسمعه، لكن لا يعرف ما الذى يستفيده عمليا منه!! إذن لا توجد حركة...

إننا لو أدخلنا الحركة مثلما فعل الصهاينة فى اليهودية! ما الفرق بيننا وبينهم، إنهم قلبوا المسألة؛ جعلوا العقيدة الدينية هى المفتاح، جعلوها أداة تحريك ونجحوا فى ذلك نجاحًا كبيرًا. إذن لماذا لا نفعل نحن ذلك أيضًا فنجعل العقيدة الدينية دافعة إلى الحركة وإلى الفعل ؟!!

إننا لم نفعل ذلك، ولذلك تعطلت النهضة لأن الكتلة الجماهيرية ثابتة! ولو أننا عدنا إلى الوراء مائة سنة سنجد أن أولئك الذين تعجب بهم الآن كانوا سيكونون هم أنفسهم لو عاشوا سنة ١٨٩٠ . الجماهير كانت ستعجب بهم أيامها بنفس الدرجة مما يدل على أن هذا النوع من التثقيف ليس هو الذى يحرك. وقد وقعنا فى فخه فعلاً !! لأننا حينما

دخلت الحضارة والثقافة الأوروبية مع نابليون أولاً، ثم بالتعليم والبعثات وغيره بعد ذلك. انقسمنا ثقافيًا ولا نزال إلى ثلاث جماعات؛ جماعة كبيرة جداً هى التى أشرت إليها أنفاً وهى التى لا تريد أن تتحرك. تكتفى بحفظ العلم محفوظات ممكن يسمعها من الألف إلى الياء فى الإذاعة أو فى التليفزيون ، لكن بماذا يجدى الحفظ؟! ماذا أفعل به ؟!

هذه كتلة كبيرة جداً ترفض منهج العلم وهى تتصور أنها تملكه والحقيقة هى ما قلت. أما الطرف المقابل فهو لحسن الحظ قليل العدد جداً، وهو ذلك الطرف الذى يظن أن الأفضل أن آخذ أوروبا والعلم الأوروبى كما هو. فطالما أنها نجحت ينبغى أن آخذها!! لكن كونى أكون إنجليزى مع الإنجليز. ماذا يعنى ذلك؟! أضفت إلى الإنجليز واحد!! ولم أعد أنا.

إنما العمالقة من مفكرينا وهم الرواد الحقيقيون، هم الذين اجتهدوا فى أن يقفوا موقفاً وسطاً يضم الإثنين معاً؛ يضع الواحد منهم ما نسميه نحن التراث أو الروح العربية - الإسلامية مع ديناميكية الحركة من منهجية الفكر الغربى. وهؤلاء هم الذين سيعيشون. ورغم أن عددهم ليس كبيراً إلا أن تأثيرهم والحمد لله نرجو أن يكون أقوى.

وإذا كان هناك أمل فى نهضة فستكون عن طريق هؤلاء.

لو أنك حللت الجامعات المصرية من أول ما نشأت حتى الآن لتأخذ فكرة عن التطور الذى عشناه وكيف حدث؟! ستجد أن الجزء الأول من العشرينات والثلاثينيات كانت الجامعة فاتحة أبوابها على أوروبا، وكانت تجلب أساتذة من أوروبا، وكذلك الكتب والمراجع..إلخ. كان كل ذلك لابد أن ندرسه ولابد أن نعرفه.. كان الانفتاح علمى وعقلى إلى آخر المدى...

السؤال الثامن : مداخله من الأستاذ عبدالفتاح السيد :

لى تعليق بسيط يا أستاذنا، ألا تعتقد معى أن سياسة التتريك التى اتبعت فى أواخر الدولة العثمانية أحدثت هوة سحيقة بين الإنسان العربى وبين تاريخه ولغته. وأصبح الإنسان العربى كالشجرة التى تقتلع من جذورها فتصبح فى مهب الريح. وهذا هو حال الإنسان العربى هذا اليوم. وقد حاول الأدباء، حاولوا ولكن للأسف كانت محاولاتهم دون جدوى فى أن تعيد هذا الإنسان إلى سابق عهده وتغلق تلك الفجوة بينه وبين تاريخه ولغته.

وأعتقد أنا أن القرآن الكريم الآن هو السبيل الوحيد لهذا لأن رب العالمين قال: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» . فالإنسان العربى لا يستطيع أن يرجع إلى لغته الحقيقية إلا عن طريق القرآن. والآن لغتنا فيها

خليط من الألفاظ التركية والفارسية والإنجليزية والفرنسية.. إلخ. نستعملها فى ممارستنا اليومية.

وأعتقد أن الاستعمار الغربى بعد الخلافة العثمانية جعل من هذه الهوة فجوة كبيرة جدًا بحيث فصل الإنسان العربى فصلاً كليًا عن تاريخه وعن لغته. فأعتقد أن الاستعمار عميل الوطن العربى الآن هو من أبشع أنواع الاستعمار لأنه استعمار ثقافى وسياسى واقتصادى وفكرى. نحن نعانى من جميع أنواع الاستعمار وهذا للأسف لم يحدث من قبل لأمة من الأمم، حتى اليابان حينما احتلت من قبل الجيوش الأمريكية، بقى اليابانى مرتبط بتراثه وتاريخه ولغته. سيادتك ذكرت التراث، والتراث هو الأساس فى حياة الأمم. خذ مثلاً بإنجلترا، إنجلترا إلى اليوم تسير على اليسار لأنه من التراث. فقد كان الإنسان الإنجليزى إذا ركب الحصان يركبه من جهة اليسار. وإلى اليوم يسيرون على هذا التراث. إن ذلك اعتزاز بالتراث. والتراث هو أساس حياة الأمم.

وأرجو أن أطرح تساؤلاً آخر هو أن نابليون حينما دخل مصر جمع من الثقافة المصرية القديمة الكثير. ولكننى أعتقد أنه لما جمع علماء الأزهر استطاع أن يستنبط منهم القانون المدنى الذى شرع فى فرنسا. والذى نستمد منه الآن تشريعاتنا وأنظمتنا القانونية. لقد أردت أن أثير هاتين النقطتين أمام أستاذنا.. وأرجو ألا أكون قد أطلت. وشكراً...

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود :

الحقيقة أننى لا آخذ بما تأخذ به أنت فى أننا تركنا التراث؛ فنحن لم نتركه ولم نحسن فهمه على السواء. كيف نقول تركناه؟! والفلاح وكذلك أى واحد من هذه الجماهير العريضة البسيطة لا تعرف إلا بعض التقاليد تعيش عليها. ويؤكد لهم على هذه التقاليد رجال الدين. فالتراث قائم، قائم عن غير فهم يؤدى إلى استغلاله فى الحركة (حركة المجتمع).

هذا ما أقوله وأنا لا أرفض المادة التراثية وإنما أجعلها نقطة بدء لكى أتحرك بها فى ظروف جديدة استحدثها العصر.

السؤال التاسع:

لو سمحت أستاذى الفاضل د. زكى نجيب محمود، حضرتك ذكرت فى أكثر من كتاب من كتبك أن الفكر لم يستطع التعبير عن مشاكل المجتمع وظواهر التغير الموجودة فيه مثل الأدب، وهذا لإنعدام النقد أو لأن النقد فى ميدان الفكر كان ضعيفًا بدليل أن الأدب ارتفع واستطاع التعبير السليم عن قضايا المجتمع، وانتقل من المحلية إلى العالمية بينما الفكر لايزال فى محوره لأن النقد فيه لم يكن على مستوى المسئولية. هل مازلنا نعيش فى عصر اللانقد بالنسبة للفكر؟! وهل المعارك الفكرية التى خضتها حضرتك كانت موضوعية أم أن هناك بواعث ذاتية وشخصية دخلت فى النقد نفسه؟!

الأستاذ الدكتور / زكي نجيب محمود :

إن ما قلتيه أنا فعلاً قلته : قلت أننا فى مجال الأدب والفن قد أنتجنا شيئًا «يمكن أن نقابل به الله تعالى يوم الحساب» . فلدينا شعراء وروائيون وقصة... إلخ. وكذلك فى الفن لدينا درجة مشرفة من الفن. تشكيلى وغير تشكيلى..إلخ. إلا فى عالم الفكر. الفكر بعيد عنا لأنه أصعب. لماذا هو كذلك - نريد أن نعرف ؟!

نحن نتكلم فى الفكر حول مجموعة من الأفكار كالحرية والمساواة والديمقراطية والإنتماء...إلخ. وهذه الأفكار لا هى علم ولا هى أدب! ولكنها فى الوقت نفسه هى مخازن القيم. وكثير منها نزل مع الأديان لأنها قيم تقود إلى طريق الحياة. كل واحدة من هذه الأفكار حرية - مساواة - ديمقراطية ..إلخ تحمل معها كيف أعيش لكى تكون الحياة مقبولة.

إن هذه المجموعة من الأفكار التى لا هى أدب ولا هى فن ولا هى علم فى الوقت نفسه، هى التى تعيش فى وجدان الأديب وتسرى فى شرايين العالم لتعطيه القيم التى يعيش بها، بل والتى يمارس بها أدبه وعلمه.

أما المشتغل بتحليل هذه الأفكار مطلوب منه أن ينمو بها إلى أقصى حد، لأن من خصائص هذه الأفكار أنها ليس لها تعريف ثابت

كالرياضة؛ يعنى الحرية مثلاً لا أحد يستطيع أن يعطيك تعريفًا ثابتًا لها كتعريف المثلث مثلاً لأن الحرية ينمو معناها مع الزمن. هناك أناس يقولون أن المسلمين الأوائل عرّفوا الحرية. لا إن الحرية بذرة والبذرة تخرج منها شجرة، والشجرة تكبر وتكبر... فالحرية، والكرامة والمساواة...إلخ. لابد من مفكر يغذيها لتنمو. فإذا نمت فى ثقافة الناس وما يقرأونه يصبح هؤلاء الناس قادرين على أن يقرأوا وهم يفهمون ما يقرأونه فيما يختص بهذا العصر الذى يعيشون فيه.

خذ مثلاً أنا واحد من الناس أرى أن أهم معنى للحرية فى عصرنا هو المعنى الذى يجعلنى حراً أمام ظواهر الطبيعة لكونى عرفت قوانينها. إذن لكى أظل حراً على أن أكون مبدعاً للعلم لاستخراج قوانين الطبيعة.

هذه هى الحرية، فهل كان الإنسان الأول واعيًا بهذا المعنى للحرية؟! لكن هذا المعنى الآن لابد منه، فالإنجليزى والأمريكى يتفوق علىّ لأنه حر بهذا المعنى. أما أنا فأنا حر بمعنى أننى طردت المحتل. وبعد ذلك لم أعرف ماذا أفعل. فبدأت أتسول منه كتبه وآلاته وأجهزته... إلخ.

ليس عندنا المفكر ، المفكر بالدرجة الكافية لأنه فى الغالب لا يوجد القارئ الذى يستسيغ تحليلات الفكر. وبالتالى لا يوجد نقد الفكر. هناك الأدب وعرفنا نقد الأدب. ولكننا لم نعرف الفكر بالقدر الكافى ولا يوجد لدينا نقده ومن هنا فالمسألة بالنسبة لهذا الميدان «سداح مداح» ..

فرغم أهمية الفكر البالغة إلا أنه متروك لكل من يقول، ويقول أى شىء لأنه لا يوجد من يرده...

السؤال العاشر: د. وفاء إبراهيم (كلية البنات - جامعة عين شمس):

أستاذى الدكتور/ زكى نجيب محمود، أنا أعلم اهتمامكم بالإنسان ككل، لكننى أود أن أتحدث عن جانب مهم جداً أعطيته اهتمامك، وهو الفن. فأى أساس من أسس الفلسفة المعرفية أو الوجودية أو القيمية يصلح أو يؤدى إلى الإفصاح عن طبيعة الفن بما هو فن ؟!

الأستاذ الدكتور / زكى نجيب محمود:

فى الحقيقة أنه من الناحية الفلسفية حتى أفهم الفن بما هو فن لابد أن أجد مكانه فى التوحد الفلسفى الذى سأقيمه فى باقى فروع المعرفة، لأن الفيلسوف أى فيلسوف حينما يبحث عن مبدأ يضم العلوم كلها فى قضية واحدة أو فى مبدأ واحد، فإن عبقريته تهديه أيضًا إلى مبدأ يفسر به الفن. ويفسر به كل ظواهر الحياة الأخرى وعلى رأسها الفن.

إذن إذا وجد الفن المعين فى فترة معينة مكانه مع بقية أفراد الأسرة فهو فن يتلاءم مع العصر الذى يعايشه ويسير فى الطريق الصحيح. إنما إذا كان لا يمكن أن أضعه فى الأسرة المعرفية فسيكون هناك شذوذ بصورة ما.

خذى مثلاً، افرضى أن بيننا فنان ينسى أنه مصرى نسياناً تاماً، وحفظ بعض الأشياء عن الفن وصنع فنا. فإن المصرى لا يجد نفسه فى هذا الفن، ولا أقصد بالإنسان هنا الإنسان العادى فقط، بل أيضًا الإنسان المثقف. فكل إنسان يريد أن يرى نفسه فى فن عصره.

إذن حينما أفسر فنون أكثر العصور التاريخية التى عشناها أجد أن عصوراً فنية بها نجاحًا باهراً؛ وعلى سبيل المثال حينما أحضر قطعة آثار فرعونية صغيرة بحجم كف اليد وأعطيها لإنسان صغير حتى لو كان فى الإعدادية، وأسأله: أين نشأت هذه؟! سيقول: هذه فرعونية! لماذا تعرف عليها!! لأن هناك روحًا واحدة سادت الفن الفرعونى لأكثر من أربعة آلاف سنة، روح وضعها الفنان فى كل ما صنع تجدها فى التمثال، فى اللوحة، فى المبنى كله... إنه طابع طبع كل شىء ولا يخطئ النظر حينما يرى أى جزئية من جزئياتها فسيعرف أنها فرعونية.

لو أن فيلسوفًا جاء فى هذا العصر ليوحد المعرفة تحت مبدأ واحد، فإن الفن سيجد موضعه بسهولة، لأنه جزء لا يتجزأ من الحياة بالمعنى العام.

كان نفس الشىء فى الفن الإسلامى، فأى جزء حتى لو كان «خمس سنتيمتر فى خمس» من باب أو شباك أو مشربية. أو من «دفاية» أو من سراج..إلخ، فأى جزء تعرف أنه فن إسلامى مما يدل على أن الفن

الإسلامى استطاع أن يبلور الروح الإسلامية فى صناعته، هذه الروح لا يخطئها إنسان.

نحن فى مصر الآن، من المؤكد أن فنانينا يقومون بدور مشرف. وان كنت لا أدرى إذا كان دون الهدف أم لا! ولكن ممكن جداً لو وجد الفيلسوف الذى يوحد المعرفة فى مصر. يجد الفن التشكيلى كما هو قائم الآن فى موضعه ليس فقط من حيث الموضوع فهناك فنانون بحثوا فى الحروف الهجائية ليركبوا منها الصورة، حتى يصبح فناً عربيًا. هذا جيد لكن ليس هذا ما نأمل فيه، فالمأمول أن يرسم الفنان ما يرسمه مستخدمًا تلك الألوان التى «تزعق» (تصيح) وتقول: أنا مصر!! وهذه أفلح فيها كثيرون مثل صلاح طاهر مثلاً، لأن مصر ألوانها ثلاثة، زرقة السماء ، وصفرة الصحراء. وخضرة الزرع. ومن شرب جو مصر جيداً لا يستطيع إلا أن يستخدم هذه الألوان لأنها مصر ولأنه ابن مصر. يرسم ما يرسم حتى لو كان الفكهاني؛ فمن بعيد ستجدى هذه الألوان فى البرتقال وفى الخس وفى أى شيء.. إنها الألوان الثلاثة، وحينما أقول أن المصرى سيجد نفسه فى اللوحة، أعنى أنه سيستريح للتركيبة وللون لأنه يألفه. انظرى إلى لوحات الفنان الإنجليزى ستجدى اللون الرمادى هو اللون الشائع فى لوحاتهم لأن السماء عندهم بهذا اللون الرمادى وهو لا يرى إلا اللون الرمادى.

والرد على سؤالك يكون أن الفن يكون فى الدرجة المأمولة إذا ما وجد موضعه من وحدة المعرفة فى مصر. فنحن لنا فكر سياسى، وغيره. ولنا فكر فلسفى . فهل هناك يا ترى ما يوحدها. إذا وجدنا أن هناك ما يوحدها ويندرج تحته الفن الذى ينتجه الفنانون، فهو فن جيد.

ختام الحوار :

على مدى ثلاث ساعات استمتعنا كثيراً بهذه المناقشات وبكل هذا الحوار الثقافى العالى جداً.والفضل فى هذا يرجع للدكتور ناصر الأنصارى ولحضرات الزملاء الذين أسعدونا بحضورهم هذه الندوة الثقافية التى نرجو أن تتكرر فشكراً لكم جميعًا . وإلى اللقاء فى لقاء ثقافى آخر.

(تصفيق)

الهوامش

(١) يشير أستاذنا د. زكى نجيب محمود هنا إلى جوهر فكر سقراط، ألا وهو منهجه فى الفكر والحياة معًا. فلقد كان سقراط لا يفصل بين الفكر والحياة. بل كانت مواقف حياته هى ذاتها التى نستقى منها منهجه وأفكاره. وكان جوهر هذا المنهج وهذه الحياة هو أننى أفكر لأحيا هذا المعنى الذى عرفته للحرية إلى سلوك أعيشه فى حياتى اليومية. ولذلك كان قول سقراط الشهير «أن الفضيلة والمعرفة شىء واحد» . يعنى أنه لا يهم أن أعرف معنى الفضيلة نظريًا، بل المعرفة عنده ينبغى أن ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالسلوك : لأن المعرفة النظرية بمعنى الفضيلة ستتساوى بالجهل إذا لم تتحول إلى سلوك فعلى فى حياة العارف. «فالفضيلة علم والرذيلة جهل» بهذا المعنى الخاص جدًا عند سقراط.

وهذا المنهج الذى لا يفصل بين ما أفكر فيه. وما أعيشه فعلاً فى حياتى اليومية هو ما أعجب به جدًا أستاذنا د. زكى نجيب محمود، وحاول استثماره والإفادة منه فى فلسفته العلمية الداعية إلى أن

تتطابق مفردات التفكير مع مواقف الحياة، والداعية إلى صنع التقدم الإنسانى عبر الفكر التحليلى العلمى.

(٢) لقد صرح أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود محرر هذا الصالون ذات صباح حينما كان يستعد ليلقى محاضرة افتتاحية لإحدى ندوات الجمعية الفلسفية المصرية فى أوائل التسعينيات، أن من أهم ما أسهم به فى الثقافة العربية المعاصرة هو «المقالة الأدبية» التى كان يبدعها ابداعاً غير مسبوق شكلاً ومضموناً! وكان يتعجب : كيف لم يتنبه كل من درسوا فكرة، وكل من اهتموا به بالبناء البديع الذى ابتدعه فى أدب المقالة. ولعلها مناسبة أن نذكر كل المهتمين بدراسة فكر زكى نجيب محمود الأدبى والنقدى بذلك وأن ندعوهم لدراسة أدب المقالة عنده.

(٣) يشير أستاذنا هنا إلى دور اللغة فى التقدم الحضارى؛ فحينما يسود بين الناس نمط اللغة العلمية التى تشير كل مفرداتها إلى واقع مادى ملموس تجد أنه لا يوجد بين هؤلاء الناس تلك الإزدواجية بين الفكر والواقع. فاللغة العلمية هى أحد أسس التفكير العلمى الذى يصنع تقدم الأمم ويقضى على الإزدواجية المفتعلة بين الفكر والواقع.

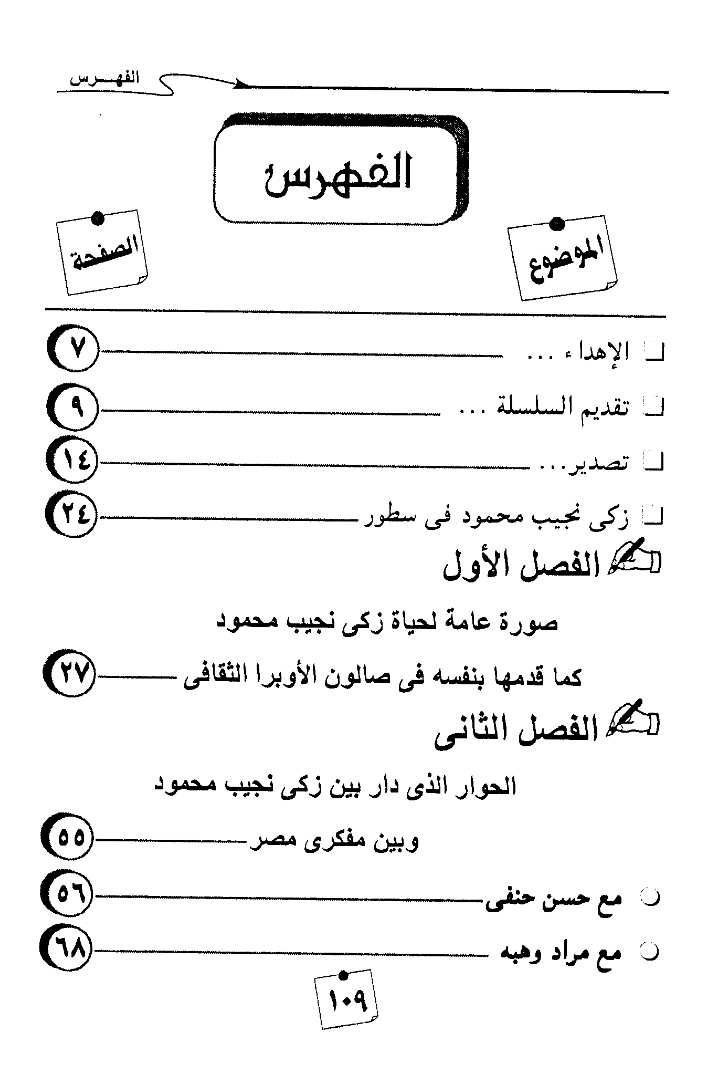
(٤) «المهابهاراتا» أحد النصوص الرئيسية فى الفكر الهندى، وتعود فى تاريخها إلى الفترة الثانية من تطور الفكر الفلسفى الهندى التى يطلق عليها مرحلة الأناشيد التى تقع بين عامى ٥٠٠ أو ٦٠٠ ق.م إلى ٢٠٠ بعد الميلاد. وتعتبر هذه المرحلة من أخصب الفترات الفلسفية الهندية حيث أنتج فيها الكثير من النصوص الفلسفية وشبه الفلسفية.

(انظر : د. رادا كرشنا ود. شارلز مور: الفكر الفلسفى الهندى، ترجمة ندره اليازجى، دار النهضة العربية، ١٩٦٧م ، ص٩ ، ص٢٣٩ وما بعدها.

(٥) يشير د. زكى نجيب محمود هنا إلى نظرية رسل فى أصل الرياضيات، حيث يعتبر رسل أنه يمكن العودة بالرياضيات إلى المنطق، نظراً لأنه لا يمكن تعريف العدد إلا على أساس مفهوم «الفئة» المنطقى. فكل عدد من الأعداد الطبيعية إنما هو فئة فئات تشتمل على عدد معين من الأعضاء، فالعدد عمومًا هو فئة فئات، والعدد واحد هو فئة الفئات التى يشتمل كل منها على عضو معين. وهكذا...

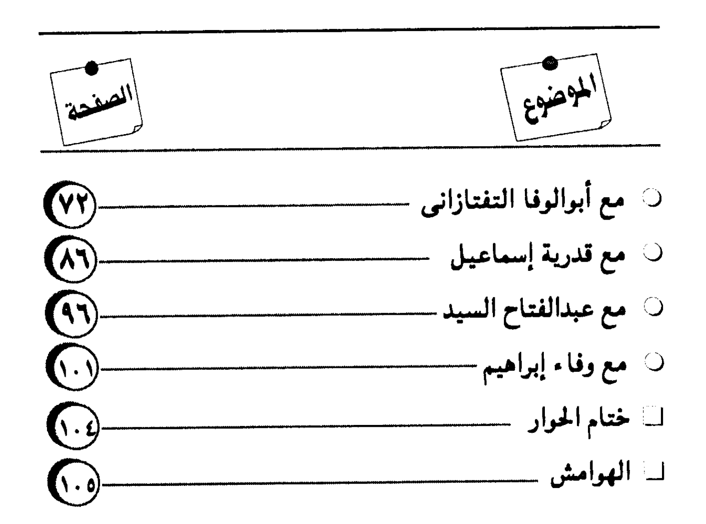
(٦) «الماصـدق» : إصطلاح منطقى يعنى الأفـراد الذين ينطبق عليـهم صفات معينة تشكل ما يسمى فى المنطق أيضًا «بالمفهوم». أى أن كل شىء من الأشياء الواقعية لابد أن يكون له مفهوم وما صدق؛ أما المفهوم فهو الصفات المشتركة بين هؤلاء الأفراد الذين يسميهم مثلما تقول أن الإنسان هو الحيوان العاقل. أما الماصدق فهو محمد وأحمد وعلى وحسين...إلخ من أفراد البشر الذين ينطبق عليهم هذا المفهوم.

وبالطبع فإن الأسلوب العلمى هو دائمًا الذى يتحدث صاحبه عن وقائع وأحداث وظواهر ذات ما صدقات محددة ومعروفة.



الفهرس

الموضوع | الصفحة


الموضوع
الصفحة

مؤلفات أ. د. مصطفى النشار

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها فى الفلسفة الإسلامية والغربية :

- صدرت الطبعة الأولى عن دار التنوير - بيروت ١٩٨٤م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة مدبولى بالقاهرة ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) نظرية المعرفة عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٥م.
- صدرت الطبعة الثانية والثالثة عن نفس الدار عامى ١٩٨٧-١٩٩٧م.
- صدرت الطبعة الرابعة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٣) نظرية العلم الأرسطية - دراسة فى منطق المعرفة العلمية عند أرسطو:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٨٦م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ١٩٩٥م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن دار الثقافة العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٤) فلاسفة أيقظوا العالم:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة للنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٨٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن دار الكتاب الجامعي بالعين، دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٠م.
- صدرت الطبعة الثالثة عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٨م.

(٥) نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفي باللغة العربية:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.
- صدرت الطبعة الثانية بعنوان «نحو تأريخ عربي للفلسفة» عن دار قباء عام ٢٠٠١م.

(٦) نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة - دراسات في الفلسفة المصرية واليونانية.

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٢م.
- صدرت الطبعة الثانية عن مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(٧) مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٨) فلسفة التاريخ - معناها ومذاهبها:

- صدرت الطبعة الأولى عن وكالة زووم برس للإعلام بالقاهرة عام ١٩٩٥م.

(٩) التفكير الفلسفى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبى عام ١٩٩٥م.

(١٠) التفكير المنطقى للصف الثالث الثانوى الأدبى (بالاشتراك):

- صدر عن وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، نشرته دار الغرير للطباعة والنشر، دبى عام ١٩٩٥م.

(١١) مكانة المرأة فى فلسفة أفلاطون - قراءة فى محاورتى «الجمهورية والقوانين»:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠١م.

(١٢) من التاريخ إلى فلسفة التاريخ - قراءة فى الفكر التاريخى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٣) المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٤) مدخل لقراءة الفكر الفلسفى عند اليونان:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ١٩٩٧م.

(١٥) مدخل جديد إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٣م.

(١٦) الخطاب السياسى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٨م.

(١٧) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الأول) السابقون على السوفسطائيين:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٨م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤.

(١٨) ضد العولمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٩م.
- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار القاهرة عام ٢٠٠١م.

(١٩) فى فلسفة الثقافة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٩م.

(٢٠) تطور الفكر السياسى القديم من صولون حتى ابن خلدون:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ١٩٩٩م.

(٢١) تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى (الجزء الثانى) السوفسطائيون - سقراط - أفلاطون:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة على ٢٠٠٠م .

- صدرت الطبعة الثانية عن نفس الدار عام ٢٠٠٤م.

(٢٢) بين قرنين - معا إلى الألفية السابعة:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عام ٢٠٠٠م.

(٢٣) رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة فى القرن العشرين.

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٢م .

(٢٤) أرسطوطاليس - حياته وفلسفته:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة العربية، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢٥) أعلام التراث الفلسفى المصرى - ذو النون المصرى رائد التصوف الإسلامى:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٣م .

(٢٦) أعلام التراث الفلسفى المصرى - على بن رضوان وفلسفته النقدية:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٣م .

(٢٧) ما بعد العولمة - قراءة لمستقبل التفاعل الحضارى:

- صدرت الطبعة الأولى عن دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٣م.

(٢٨) حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٢٩) ثقافة التقدم وتحديث مصر:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٣٠) الفكر الفلسفى فى مصر القديمة:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

(٣١) تطور الفلسفة السياسية (من صولون حتى ابن خلدون):

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٥م.

(٣٢) مدخل إلى الفلسفة:

- صدرت الطبعة الأولى عن الدار المصرية السعودية بالقاهرة عام ٢٠٠٥م.